كلمتنا

◆

نتقدم الى قراء العربية بهذه المجلة الجديدة « الاديب » في مطلع العام الجديد ، راجين ان يكون عام طمأنينة للعالم ، وسعادة للقراء ، ونجاح للمشروع الذي اخذنا على عاتقنا تحقيقه ، والسير به من حسن الى احسن . ونحن على مثل اليقين باننا ، رغم المصاعب الكثيرة الراهنة ، بالغون ان شاء الله الغاية التي نتوخاها ، بعون الملاء الصالح من اصدقائنا الادباء واهل الرأي وذوي الاختصاص في مختلف المعارف والفنون . فهذه المجلة مجلتهم ، يخرجونها في مستهل كل شهر وفقاً للخطة الرشيدة التي اختطوها ، سعياً نحو المقاصد الرفيعة التي جعلوها نصب اعينهم .

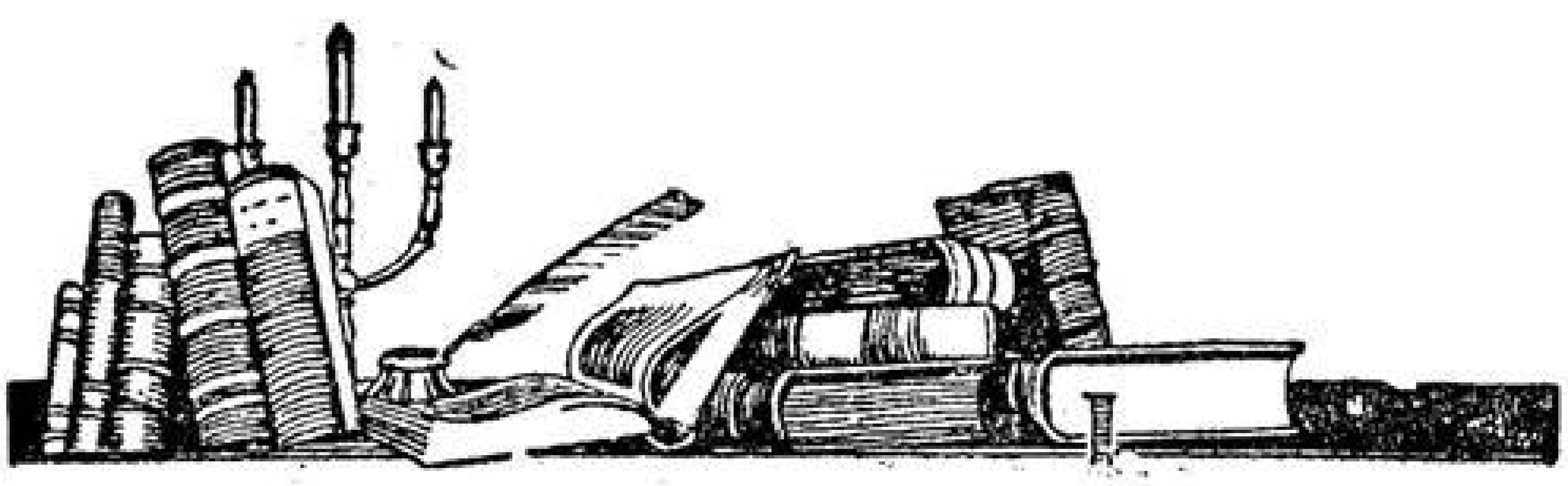
لقد رأينا الحاجة ماسة الى سدّ ما يحسب بحق فراغاً في مكتبة الاديب العربي ، فألهمنا ان نساهم في ذلك بمجلة تطمح الى ان تكون معرضاً للانتاج الفني والادبي والعلمي ، ومنبراً للرأي السياسي المنبثق من العقيدة الصادقة والايمان الخالص ، ثم لا تلبث ان تصير همزة الوصل بين اقطاب الفكر الحر في الاقطار العربية جمعاء .

اما الخطوط الاساسية لهذا المشروع فتتجلى بوضوح في موضوعات هذا الجزء من « الاديب » الذي يجمع — كما ترون — بين طرائف القديم ونفائس الحديث ، مما نشر او لم ينشر ، في شتى الفنون والشؤون .

واذا كان لنا ما نقوله ، ونحن في المرحلة الاولى من عملنا ، فهو ان نسأل جمهرة القراء مساعدتنا على انجاح هذا العمل ، كي تصبح « الاديب » مجلة القراء الذين يطالعونها كما هي مجلة الكتاب الذين ينشئونها ، والله من وراء القصد .

البير اديب

عزلة الاديب



بقلم عمر فاخوري

تالله ان شأن هذا « التاريخ » لعجيب .

لقد نقل التاريخ الينا كثيراً من الاسماء والاحداث وما زال هذا دأبه. لكن ما اغفله — عن عمد او سهو، لا ادري — هو، ولا مراء، اكثر جداً مما نقله. التاريخ اذن مصلحة بريد غير منتظم.. والمصيبة ان يوكل الى هذه المصلحة ايضاً اختيار ما يجوز حمله من الرسائل، او يصح نقله من الاخبار.

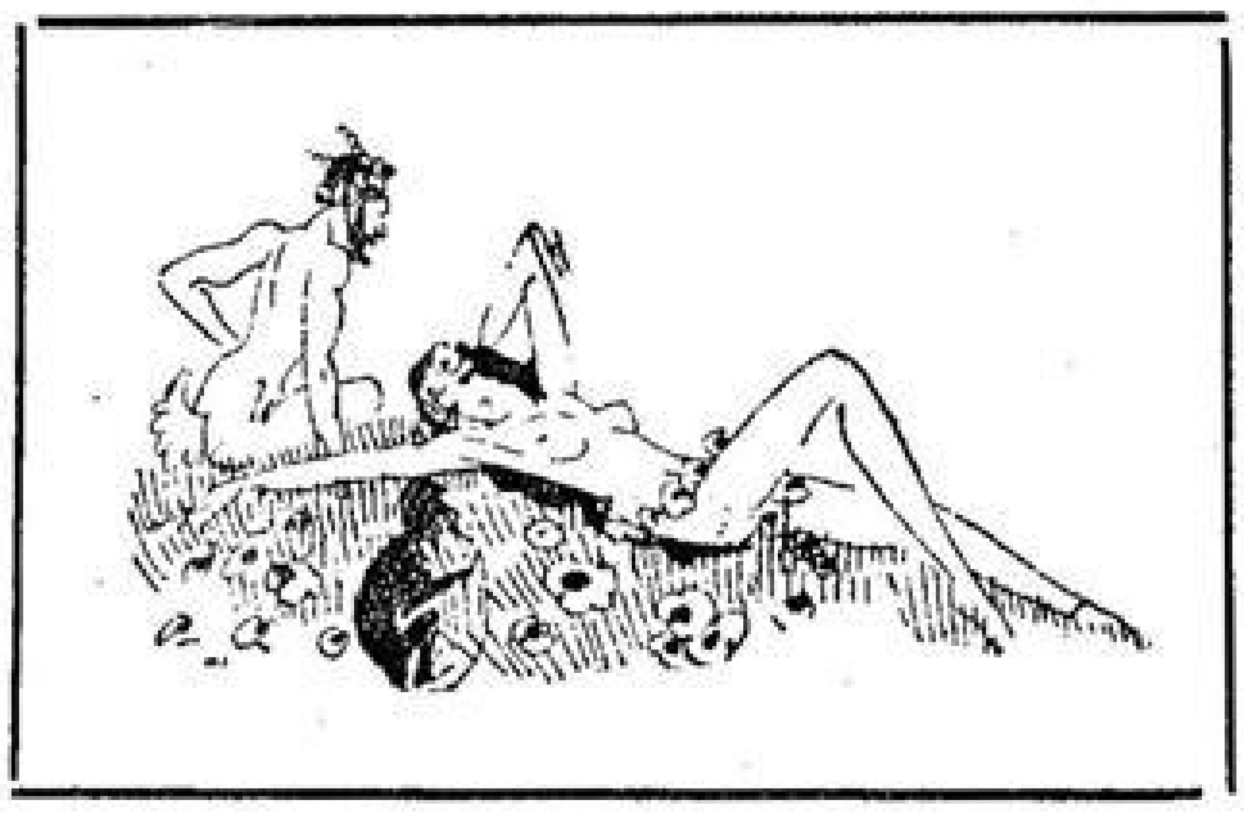
كان لي جارة عجوز تجيئني، آخر كل شهر، بكتاب جديد من ابنها المهاجر، كي اتلوه عليها.. ومن الالف الى الياء كما تقول. وكان ذلك الولد — البار بأمه الحنون لسوء حظي — مغرى بان يقص عليها بالتفصيل كل حوادث حياته اليومية في بيته وتجارته وما بينهما؛ لا يدع شاردة ولا واردة، ما يسوء منها وما يسر، ما يبعث القلق او يفرغ الطمأنينة — بلهجة واحدة لا تتغير، حتى اتهمته في سري بقوة المخيلة وجودة الاختراع.. وكنت، على الاغلب، لا اقف عند اخبار السوء، بل اقفز عنها بلباقة نادرة المثال، واقرأ طويلا بين السطور. فلم يك في ذلك خسران على احد منا، وطالما ربحت الدعاء.

هكذا التاريخ، على الاقل كما يشتهيه نفر من المؤرخين وجمهرة القارئين. واذا قلت «التاريخ» فانا أعني بالبداهة تلك المصنفات التي لا تحصى عدداً، الموروثة عن كل الازمنة في الامم كافة، والمختلفة شكلا وحجماً، او طريقة واسلوباً، او نهجاً وغاية. فالتاريخ يتألف بالدرجة الاولى من هذه المؤلفات جميعاً على السواء، رغم اختلاف ظواهرها وبواطنها، ومنازعها ومقاصدها، ومبادئها وغاياتها. ولا بأس بأن يناقض بعضه بعضاً في بعض الاحيان: اليست الحياة نفسها شبكة مختلطة من المتناقضات؟

بل اليس لكل شأن من الشؤون الانسانية وجوه متفرقة تبدو وتغيب، فلا يحيط بها كلها في آن، الا الذي وسع علمه كل شيء؟

ذلك هو التاريخ باحرف نورانية بارزة تلوح في غياهب الماضي، كالاحرف التي تزين بها ليلا واجهات المخازن الكبرى، يراها الرائي من بعيد، وقد اخذت ترتسم حرفاً حرفاً، ثم تمحي حرفاً حرفاً، ثم اذا بها تعود دواليك.. ولعلهم لهذا يقولون (اي الحكماء) ان التاريخ يعيد نفسه.

اجل، لكن هذا التاريخ يتضمن كثيراً من السطور الدارسة والفصول الطامسة. كالمخطوطة القديمة أتت الارضة على صفحاتها، او كالحافظة الهرمة غشّى النسيان على ذكرياتها.. بل ما لنا نبعد في التشبيه ونغرب في التمثيل؟ لنقل، وهو الاصح، ان التاريخ كتاب مدرسي مزين بالرسوم تعاورته ايدي الصبية العابثين اعواماً بالتصحيف والتحريف، والتعديل والتبديل. فثمة لطخة حبر غير متعمدة، او جرة قلم مقصودة، قد غطت على اسم من الاسماء العظام، وحدث من الاحداث الجسام، فلا الحادث كان، ولا المسمى وجد.



كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس، ولم يسمر بمكة سامر!

وثمة اوراق برمتها انتزعت من دفتي الكتاب عنوة، ثم شردت ايدي سبا، ثم مزقت شر ممزق، فهو عصر بكامله يضيع او امة عن بكرة ابيها تفقد ذاتها.. والصور، ما ادراك ما الصور؟ لهذه حساب خاص.. اية خسارة في ان يزاد عليها القليل، بل اقل من القليل؟ هنا مثلا شارب اعقف، وهناك لحية جليلة.. من منا لم يعرف في صباه الماجن المرح، اشباه هذا الكتاب؟ عندي انا في متحف الذكريات نسخة فريدة من تاريخ «صحيح» تثبت بما لا يحتمل شكاً ولا تأويلا، انه بين بكرة وضحاها من ليلة غير مقمرة، قد

نبت لاحدى الملكات السعيدات لحية مستعارة وشارب مجلوب ، وكانت اعجوبة الاعاجيب . واخال ان هذه المعجزة ظهرت في ذلك الزمن على يد صبي نابغ شغف بفن التصوير منذ نعومة اظفاره . فاصبح اليوم والحمد لله ، حلاقاً من مهرة الحلاقين ، كأني به آثر هذه المهنة التي يقضى على صاحبها، دون سائر الخلق، بالوقوف دوماً على رجليه، تكفيراً عما اجترمه من تزييف في هيئات التاريخ ، اذ كان يخلع على ابطاله ، دون حساب، لحى وشوارب ليست لهم كأنه يعدهم لحضور مرفع حافل في دنيا الخلود .

لو اخذنا بعض امهات كتب التاريخ التي دون فيها العرب اخبارهم واخبار سائر الامم ، ما علم منها وما لم يعلم ، لعثرنا في مواضع عدة على هذه العبارة الحكيمة «هنا بياض في الاصل». يعني بكلمة اوضح : هنا نقص في التاريخ ، كخلل في الحافظة يعتري الاشخاص فيفقدون بفعل المرض او الشيخوخة ، حلقة او حلقات من سلسلة ذكرياتهم .

ليس من غرضنا الان ان نحتج على ابن الاثير مثلا ، فنأخذ عليه انه رغم البياض الذي ازدان به مؤلفه النفيس في التاريخ كرأس الاشيب ، قد سماه « الكامل » فالكمال لله وحده . لكن الامر الذي يدعو الى العجب هو ان يكثر تردد هذه العبارة الغراء: « بياض في الاصل » كلما تقدم الزمن من عصر الكاتب ، كأن المؤرخين كانوا — والله اعلم — باخبار الخليقة والطوفان وما اشبه ، اعرف منهم باخبار الازمنة القريبة من زمانهم . بل لا عجب ، قد يكون هذا التاريخ مثل اولئك الاشخاص الذين وصفهم علم النفس بانهم كلما تقدموا في السن امسوا اشد تذكراً واستعادة لحوادث ماضيهم القصي، لاسيما عهد صباهم وشبيبتهم . ويذهب العلامة فرويد الى ابعد من هذا حينما ينوه بشتى التأثيرات التي تطبعها في نفس المرء حوادث طفولته ، فتسيطر على حياته جميعاً ، سواء ما ظهر وما بطن ، او ما وعاه وما لم يع ، من تلك الذكريات العريقة . وعلى كل فان عبارة « بياض في الاصل » لمن العبارات التي يجب ان يغلب استعمالها او دسها كالتعاويذ، حتى يصبح اكثر التاريخ بياضاً . ولكل قارئ حينذاك ان يقرأ بين السطور ما شاء ، كما هو شأني مع العجوز الطيبة التي تسألني آخر كل شهر ، ان اؤرخ لها سيرة ابنها البار في ديار الغربة .

قلنا : التاريخ ، وعنينا بالدرجة الاولى مصنفاته ، اي المادة « الخام » التي يمكن ان يتألف منها تاريخ كامل ، لو قدر لهذا « الكامل » وجود او شبه وجود . نحن لم نعن اذن ذلك الشيء الرمزي الذي كاد يتمثل التاريخ فيه ، يوم تجسد في نصف آلهة من آلهة يونان الاقدمين . زعموا انه كان لابولون، آله الموسيقى والشعر وسائر الفنون، تسع صواحب يدعين ربات الوحي . فكن يسرحن ويمرحن ويرقصن ويغنين حول الاله العظيم على هضاب البرناس وفي وديانه . واحدى تلك الكواعب الاتراب كليو، ربة التاريخ : قيل انها كانت لا تفتأ تشيد بامجاد الماضي وتتغنى بمآثر الابطال . لكن وجه التاريخ قد تبدل منذ ذلك العهد السعيد . فبعد ان كان يرقص ويغني في الوديان والهضاب، اصبح اليوم عابساً مقطب الجبين ، لا تكاد تعرف الابتسامة محياه ، قابعاً في زاوية مكتبة ، وكأنه تقنع بقناع العلماء .

ستسألون الان: « ما شأننا والتاريخ ؟ اهكذا يكون الكلام عن عزلة الاديب ، في مهرجان من الحقائق والاباطيل ، ومن الوقائع والاساطير ؟ الم يك عن هذه المقدمة بدّ ؟ »

فانا اجيب : لا . . ذلك ان التاريخ الذي نقل الينا شتى الاسماء والاحداث ، ما كان وما لم يكن، ما يهم وما لا يهم ، وهو تارة يرقص ويغني وتارة يعبس ويقطب، قد اغفل فيما اغفله — عن عمد اوسهو لا ادري — اسم اول اديب، شاعر او ناثر، عنّ لباله ذات يوم ان يعتزل . كان الاديب على اتصال حيّ يقظ مستمر بهؤلاء الخلق الذين يتحدث عنهم اليهم، فاذا به ينفض كفه من تراب هذه الدنيا التي نضطرب فيها من ساعة مولدنا الى ساعة مماتنا ، ثم يبني لنفسه فوق السحاب ما يسميه الفرنجة « البرج العاجي » وهم يرمزون به عن عزلة الاديب بمعناها الشامل او المطلق .

لقد اخذنا نحن في ادبنا الحديث، هذا الاسم « البرج العاجي » على رجاء ان يكون لنا المسمى ايضاً ، فيما بعد . وليست اول مرة يسمى فيها الطفل قبل مجيئه ، تفاؤلاً . اما الكلام عن ذلك المخلوق العجيب ، حبيس البرج فوق السحاب ، فموعدنا به آت، وكل آت قريب .

عمر فاخوري

لماذا نحن مع الديمقراطيات؟

بقلم: جبران تويني

البشر في هذه الحرب فريقان يصطرعان في سبيل فكرتين « الديمقراطية والدكتاتورية » او الشورى والطغيان . ولكل من هاتين الفكرتين تعاليم افاض فيها انصارها من الشراع والمؤلفين، وفلسفة وضعوا لها قواعد واصولاً على اسس علمية، ليبينوا افضليتها في حكم الشعوب .

وليس غرضي في هذه المقالة ان اقارن بين الفكرتين، او افاضل بينهما . ولكنني اود ان ابحث في ايهما اقرب الى ذهنيتنا نحن العرب، واكثر انطباقاً على مصلحتنا الان كأمة ناهضة تتوخى حقها في الحياة .

من تحصيل الحاصل ان نقول ان العربي مفطور على الشورى، سواء اكان في بداوته ام في حضارته . واذا كان بعض الدول العربية قد جنح الى الطغيان في وقت من الاوقات، فلأن الروح الاعجمية التي تغلغلت في الدولة، ثم سيطرت عليها، اخرجتها عن نزعتها الفطرية وساقتها في تيار كانت تتململ فيه وهي تحن الى عهد الشورى .

ولا حاجة الى سرد الشواهد على تمكن الشورى (الديمقراطية) من نفس العربي، فان كتب الادب طافحة بها من عهد الجاهلية حتى صدر الاسلام، حتى العهد الذي طغت فيه الاعجمية على روح القومية العربية، وحاولت ان تسبغ عليها روحها، فارسية كانت هذه الروح ام شعوبية .

فانا اترك ناحية الشواهد التاريخية، وانظر الى الموضوع من ناحية المصلحة المجردة، واتساءل اذا كانت مصلحة العرب تقضي عليهم ان يقفوا الى جانب الشورى ام الى جانب الطغيان .

ان الجواب على هذا السؤال يتبادر الى الشفاه من تلقاء نفسه، فمصلحة العرب المجردة تقضي عليهم ان يقفوا الى جانب الشورى .

ذلك ان دول الطغيان جعلت العنصرية شعارها، وهي تعتبر ابناءها عنصراً مختاراً، له الامتياز على سائر العناصر، وله ان يسخرها جميعاً لخدمته باعتباره متفوقاً عليها من حيث سلالته، وباعتبارها منحطة عنه من حيث سلالاتها . وقد ابتكرت دول الطغيان نظرية « الساحة الحيوية » لتبرر بها توسعها على حساب الشعوب المستضعفة . فهل نطمئن نحن العرب الى الحصول على حقوقنا من قوم هذه تعاليمهم ؟

كلا، فهم يعاملوننا معاملة السلالات المنحطة، ويفرضون علينا الذل، ويسدون في وجهنا باب الامل في الحصول على امانينا المشروعة، لنظل ذولا وعبيدا.

والعرب في هذه الحقبة من التاريخ امة مستضعفة . كانوا دولة واسعة الاطراف ثم تفرقوا الى دول، واصابهم ما يصيب الامم في حالتي اليقظة والجمود . ولكنهم بدأوا منذ القرن الماضي يستفيقون من سباتهم ويشعرون بان لهم حقاً، وان عليهم واجباً يؤدونه في ميادين النشاط الانساني .

وقد نتج عن هذا الشعور ان قامت فيهم دول ناشئة لم يزل بعضها في طور الحضانة، والبعض الآخر في طور النمو . فكانت الدول الديمقراطية « قوامة » على هذه النهضة، ثم تحولت القوامة في بعض ديارهم الى حلف، فترعرعت دولهم الناشئة في ظل الديمقراطيات وانطلقت في ميادين الحرية والاستقلال لتحتل مكانها تحت الشمس .

فهل كان في مقدور هذه الدول العربية ان تنمو وان تترعرع وان تمشي الى استقلالها لو ان دول الطغيان كانت هي القيمة على شؤونها ؟

كلا . فدول الطغيان تحطم الدول المستقلة وتهدم كيانها الموجود . فكيف تستطيع الامم الناشئة كالعرب، وهي في نظرهم من سلالة منحطة، ان تكوّن استقلالها في ظل نظام يقوم على تفوق العنصرية ويجعل البشر سلالات ؟

نحن لانقول ان الديمقراطية اعطت العرب كامل حقوقهم . ولكنها اعادت اليهم جانباً كبيراً من هذه الحقوق، وافسحت امامهم مجال الحصول على كامل ما يطلبون .

فالعرب مع الديمقراطيات عن عاطفة وعن مصلحة . وهم يرقبون تحقيق امانيهم عن هذا الطريق ليقوموا بواجبهم ويزاولوا حقوقهم في ظل النظام الجديد: « نظام الشورى لا نظام الطغيان » .





حنين

« ديانا واندومين » — مقتبسة عن لوحة زيتية للرسام « واتس »

كم اقاسي في الوجد ما لا اطيق ... ويعاني الاسى فؤادي الرقيق
انا في البعد مثلما انا في القرب ... محب واهي الفؤاد مشوق
يا سمير العيون في وحشة الليل ... وخد الصباح حين افيق
حملتني الاسفار عنك بعيداً ... وبح قلبي طالت علي الطريق
كنت لي الخضرة التي اتفياها ... وكأسي اذا ادير الرحيق

*

زادني النوى باجمل ما يغري ... وأشهى ما يبدع التنميق
وجلت حسنها الطبيعة في جود ... وقالت لك المنال الطليق
قد زخرت الجمال دنيا فخذها ... وتر منشد وحسن انيق
وبساط من ارض اندلس الخضرا ... يشع السنا به والشروق
خذ مدى الحب في مفاتن ارض ... زحمت بالمنى فكادت تضيق
قلت للحسن لو علمت غرامي ... انه كالحياة شيء عميق
لا ارى في الجمال غير خيال ... لحبيب هو الجمال الدقيق
حسنه فوق كل حسن وطيب ... وهواه عهد علي وثيق

ميشال ابو شهلا



حق الشعوب بين مذهبين

في عام ١٨٧١ كتب العلامة الفيلسوف ارنست رنان رسالة قيمة خالدة يرد بها على عالم الماني يدعى «ستروس» قال رنان :

« لا تلم المذهب الفرنسي الحر الذي يرى ان حق الشعوب في ان لا تُنقل ، دون رضاها ، من حكم الى حكم او من سلطان الى سلطان ، هو حق الهي مقدس .. نحن لا نسلم لاية دولة بان تتنازل عن جماعة من الناس لدولة اخرى ، كما تباع السلع وتشرى .. لو كانت الاراضي او البلاد التي تُعطى قفاراً غير مأهولة السكان في المسألة نظر . لكن الاقوام الذين يسكنونها هم اناس احرار ، وعلينا واجب لايسعنا اغفاله او اهماله ، هو واجب حفظهم ورعايتهم كي يظلوا محترمي الجانب . »

هذه نبذ مقتضبة من رسالة الحكيم الفرنسي تبين بوضوح وجلاء المذهب الفرنسي الحر القائل بحق الشعوب في ان تكون لها الكلمة العليا ، حينما يراد تقرير مصيرها .. لقد وصفنا الرسالة التي يرد بها الفرنسي على الالماني ، بانها قيمة خالدة : اما قيمتها فلا حاجة للتدليل عليها ، لا سيما بالنسبة الى الامم الصغيرة او المستضعفة مثلنا التي انما تطمع الدول العظمى في التوسع على حسابها . ولا ازال اذكر ما احدث في نفوسنا ، بعيد الهدنة ، نبأ تنازل حكومة فيشي او امكان تنازلها عن سورية ولبنان لدول المحور ، من شعور الدهشة ، فالخيبة ، فالاستنكار . ثم جاء اعلان مندوب الفرنسيين الاحرار ، استقلال هذين البلدين الكريمين ، حدثاً خطيراً اقل ما يقال فيه انه اقرب الى افهامنا ، واندى على قلوبنا : انها فرنسة الحرة تعمل بالرأي الفرنسي الحر الذي نادى به «ارنست رنان» وكثيرون غيره من اهل الرأي ، فكأنها مهمة فرنسة الفكرية منذ قرن ونصف قرن الى العالم المتمدن .

هذا من حيث قيمة الرسالة التي نقلنا نبذاً منها ، دون ان نحتاج في التدليل على قيمتها الى زيادة شرح او فضل بيان . اما من حيث خلودها وبقاؤها على وجه الدهر ، فيكفي ايضاً لاثباته ان نقارن بهذا النص الفرنسي نصاً آخر احدث عهداً ، لكنه الماني . قال هتلر في كتابه المشهور « كفاحي » ما ترجمته بالحرف : « نحن بحاجة الى اراض وبلدان ، حتى ولو كانت مأهولة من شعوب اخرى .. سوف نكيف مستقبل الشعوب وفقاً لحاجاتنا نحن ... »

ارأيتم هذه الجملة القصيرة التي تبتدأ بنحن ، وتنتهي بنحن ، ولا تدور الا على «محور» الحاجة ؟ « نحن بحاجة ... وسنكيف مستقبل الشعوب وفقاً لحاجاتنا .. » اما حق الامم في تقرير مصيرها وكرامة الامم عند ذاتها ان لا تؤخذ او تعطى كالسلع ، بل احترام الانسان لاخيه الانسان ، فتلك اساطير واباطيل في نظر النازية لا وزن لها ، بازاء ما تعتبره او تتوهمه او تعلنه حاجة من حاجاتها .

يقول ارنست رنان : « لو كانت الاراضي او البلاد التي تعطى قفاراً غير مأهولة السكان في المسألة نظر . ويقول هتلر : « كلا .. بل لو كانت مأهولة من شعوب اخرى ... » يقول ارنست رنان : « ان الاقوام الذين يسكنون تلك الاراضي هم اناس احرار ، وعلينا واجب حفظهم ورعايتهم كي يظلوا محترمي الجانب » فيرد هتلر عليه قائلا : « كلا ، نحن سنكيف مستقبل هذه الشعوب وفقا لحاجاتنا ... » ولا اخاله يعني غير حاجة الامة الجرمانية الى السلب والنهب ، وشهوة الامة الجرمانية الى الفتح والتوسع . واني لاتحدى اياً كان ان يدلني على حاجة او شهوة ، غير تلك الحاجة وهذه الشهوة . وما يدرينا لعل حاجة الامة الالمانية ان تباد الامة المجاورة ليأخذوا هم محلها الذي يسمونه حينئذ مجالا حيوياً لهم ! »

لقد تساءلت خلال هذه الحرب ، بيني وبين نفسي ، عن امور مختلفة . لكن ثمة امراً ذا بال شغل فكري زمناً بنوع خاص ، وهو : اذا كان هتلر قد نوى - كما يظهر - تكييف مستقبل شعوب الارض جمعاء وفق هواه ومشتهاه ، فلا بد ان يكون قد فكر فينا نحن ايضاً ، اهل هذا الساحل اللبناني . ترى ، ماذا يكون حظنا من ذلك التكييف الآتي كقضاء الله وقدره ؟ !

خطر لبالي ، اول وهلة ، ان هتلر سوف يرجع في امرنا الى التاريخ يستوحيه ويستمد منه . ان اهل هذا الساحل اللبناني العريق قد اخترعوا الابجدية في الماضي ، ولا جدال . فما يمنع ان يكونوا في المستقبل ، معلمي الالفباء في كتاتيب العالم ؟

كلا ؛ ليمكن تكييف مستقبلنا على هذا الشكل او على

اي شكل آخر ، لا بد من الاعتراف ان النازية ستنتصر ، وهي لن تنتصر . بل ما اقول ؟ انها اخذت تنكسر .

لقد اخذت النازية تنكسر بصمود ما في العالم من قوى حرة لا تغلب ، في وجه الجهاز الحربي الجبار الذي اعده الالمان لتهديد ما في العالم من قيم مادية ومعنوية ، ثم بتحالف تلك القوى الحرة تحالفاً لا انفصام له قبل تجريد النازية من سلاحها الاثيم .

والى هذه القوى الحرة التي لا تحد ، اشار رئيس الفرنسيين الاحرار الجنرال دوغول في ندائه الاول مخاطباً « جميع الفرنسيين » حيث يقول اثر توقيع الهدنة : « كلا لم يضع شيء بعد ، لان هذه الحرب حرب عالمية . ان في العالم قوى حرة عظيمة لم تقاتل . وسيأتي يوم تسحق فيه هذه القوى العدو سحقاً . تنبأ الجنرال دوغول تلك النبوءة الصادقة قبل ان تخوض حكومات الاتحاد السوفياتي والولايات الاميركية المتحدة غمار هذه الحرب العالمية الكبرى ، وقبل ان تبدو بشائر سحق النازية في ساحات القتال . ولعل ابرز صفات الرجل العظيم واوضح مؤهلاته للزعامة الحقة ، بعد نظره في الامور مع سعة الاحاطة بوجوهها العديدة . لقد علم الجنرال دوغول ان هذه الحرب الكبرى لا تنتهي ولا يمكن ان تنتهي بتوقيع هدنة بين المانيا واية حكومة فرنسية ، حتى وان يكن على رأسها رجال ما كادوا يدخلون التاريخ من بابه الواسع حتى خرجوا من باب هو اضيق من سم الخياط . وقد علم الجنرال دوغول ان هذه الحرب ليست حربا بين المانيا وفرنسا فقط ، بل هي حرب عالمية بين ما في العالم من قوى الخير والعدل والحق جميعاً وبين ما فيه من قوى الاثم والظلم والاستعباد جميعاً .

ألا ان حزب الله هم الغالبون .

« منطوع »

الاحداث السياسية والحربية في عامين

عقيب العثرة التي فاجأت بها فرنسا العالم في شهر حزيران من العام ١٩٤٠ خيل الى اوربا ان جميع الشعوب ستسقط تحت الجزمة الالمانية وان هتلر سيحقق في الاشهر المقبلة سيطرته التي يحلم بها اذ لم يبق بينه وبين تحقيق هذا الحلم الا بقعة من الماء وبضع جزر . وما هي الا ستة اشهر حتى انقلب الموقف رأساً على عقب واذا هتلر ابعد ما يكون عن هدفه واذا بالشعوب الخاضعة تستعيد الشجاعة والثقة والبلدان الحيادية تتنفس الصعداء . وراح هتلر يبحث لنفسه عمن يعضده ويعينه على ما به ، ولكن روسيا بقيت على تحفظها بل تشبثت فيه ، وادركت الولايات المتحدة مغزى الضرورة التي توجب عليها مساعدة انكلترا فاعتمدت التدابير اللازمة لهذه المساعدة . وكان موسوليني قد تورط في المغامرة وراح يتلقى ما توجهه اليه اليونان وبريطانيا العظمى من الضربات . وهكذا بدأت رؤيا الانتصار اذا لم نقل اشكاله ، ترتسم في الافق .

بانتظار الغزوة

بين ٢١ حزيران ومطلع شهر آب ، اي بعد حملة فرنسا الصاعقة ، ساد الافق هدنة صرفها العالم الذاهل في الشخوص الى الخصمين المتجابهين : المانيا الضخمة والجزر البريطانية . وكانت اوربا قد مرت باشأم الاهوال فلم تكن تستغرب شيئاً بل كانت تتوقع كل شيء . وبدأ الشك يتسرب الى اميركا فلم تؤمن بالمقاومة البريطانية ، وراحت الدعاية الماهرة تمثل بريطانيا العظمى على وشك الانهيار والاستسلام . فقيل ان الارستوقراطية والحاضرة « ستي » تميلان الى الصلح . ولفظت اسماء الشخصيات التي يحتمل احلالها محل تشرشل وراجت سوق التكهنات فمن قائل ان هتلر سيكون في لندن في ١٥ آب ومن قائل انه سيكون فيها في ١٠ ايلول .

ومنذ ١٩ تموز اعلن الفوهرر « النظام الجديد » اي بسط السيطرة الالمانية على اوربا واتحاد جميع بلدان القارة الاوربية تحت ادارة المانيا ضد انكلترا . وفي الوقت نفسه تكهن هتلر بتخريب الامبراطورية البريطانية عارضاً عليها ان يبقي لها كيانها اذا قبلت لندن الامر الواقع . وسمى هتلار عرضه هذه « نداءه الاخير الى التزام الرشد » .

— التتمة في صفحة ٥٩ —

ثقـــــــــــافة الشعور

بقلم صلاح الاسير

قد هتفنا قبل هذه الكرة ، ان الفن حر ابداً لا يقيده خير ولا يقيده شر ، غايته امتاع الحواس وامتاع الشعور قبل كل شيء ، وبين يدي الان كتاب لهريو ، يحلل فيه فن بتهوفن ، وما يتركه هذا الفن من اثر في السمو الانساني . واني اشهد ان هريو وفق في كتابه هذا كل التوفيق . وقد اخذ علي مشاعري . شيء غامض لا يتعلمه الانسان في الكتب ، وانما ينمو فيه نمواً ، احب ان اطلق عليه اسم « ثقافة الشعور » هذه الثقافة التي لا نجد لها اثراً عندنا ، والتي الهمت هريو — السياسي — تأليف مثل هذا الكتاب الشامل .

لا جرم ان هريو كان يرتاح لسماع الحان بتهوفن ارتياحاً عميقا ، مغموراً باللذة الفنية ، الدافقة الاشراق التي تشيع شعوراً وغبطة . فرأى — وهو من هو في عالم الادب — ان عليه واجباً نحو هذا النابغ الفريد ، وهو مسئول امام ضميره وامام فنه ، عن هذا الواجب ، فكتب هذه الفصول الماتعة ، انصافاً لشعوره وحمداً للفن . وكثيراً ما سائلت نفسي عن اثر رجال الفن في بناء مجد الجماعة ، وهم الذين يستحيلون في مشاعل الفن بخوراً يعطر الاجواء ، ويحرك النفوس الجامدة ...

رجال الفن واحات خضلة ، تردها الانسانيـة عبر صحراء الحياة ، ينهلون من مائها الرّيق ما وراء السراب ، وهم هذا العزاء المتحتم ، والرحمة المعطاء ، والنعيم المظل ، ولا أرى دنيانا بدونهم في اطارها الاروع ، ورونقها البهيج ، فمن تلك الاظلال ، تكتسب النسمةُ لونَ الرجاء ، والعطفـة لونَ الجرح ، والفكرة لون الاستحالة ! ...

والايام تكر مع دورة القرص الذهبي ... وبتهوفن وموزار ، ورفائل واوايلد ، ورنبو وبودلير ، ما برحوا الينبوع الدفاق الذي يستقي منه الملهمون . ذلك ان الابتكار طريق المجد في الفن ، والتقليد طريق الفن الدني ، الذي يعيش امداً خاطفاً ويموت .

ومن هنا كان ارتباط الفن بكل ما هو خيالي وغـير موجود ، ارتباطاً ابديا . فالفن تصوري قبل كل شيء ، يهيمن عليـه الابتكار ، يغمر الحياة ، ويدخلها في دائرته السحرية ويخلـع عليها نماذج مثلى ، ويضع حجاباً من السحب الكثيفة الحمراء بين دائرته الواسعة الافق ، وبين دائرة الطبيعة المزدحمة بالمثل العليا ، التي لا تكاد تلمس الاثر الفني حتى تتركه مبتذلا عاديا ! ..

واحب هنا — على صفحات «الاديب» — ان اعزو — بجرأة — هذه الازمة الفنية ، الى انعدام الكذب في الاعمال الفنية ، الكذب كلذة فنية رائعة . واقصد بالكذب ، الخيال الذي لا يعرف حدودا ، الخيال الذي يترك النور جرحاً على جبهة امرأة بارعة الجمال ، والذي يخلي الظل فجراً على ضفة الشمس . فقد تدنى الفن منـذ ترك نفسه للحياة تحتضنه ، وتسخر منه وتضحك ، وهو الذي كان لها — حتى الامس — استاذاً ومربياً ومهذبا : تدنى الفن لالتصاقـه بالواقع ، بالحقائق الباردة . والمؤرخون القدماء — يرحمهم الله — كانوا ولا ريب مجيدين في اقاصيصهم ، لانهـا كانت بعيدة عن الحقيقة الرخيصة ، او لانهم بعبـارة ادق ، كانوا يخلقون حقائق كما تخيلوها ، فخلدت اساطيرهم ، بينما اصحابنا اليوم ، يحرصون على سرد الواقع ، كأنهم يكتبون محضراً بوليسيا ، فيه شيء من التصرف . اقصد بذلك انهم جد بعيدين عن هذا الفن ، لان الفن لا يتدنى الا اذا عانقه الواقع ، وانا اخشى عليه هذا العناق الذي يفضي حتما الى خنقه ! ...

انا لا اتشاءم ، ولكن الرحمة في الفن اثم كبير ، فمن احب ان يكون صاحب رسالة في الناس ، عليه ان يقوم بما توجبه عليه الرسالة من واجبات واعباء ، ومن احس في نفسه العجز فليترك الطريق ، كي لا يكون وجوده عقبة ، فيكون انسحابه قد افاده مرتين ، الاولى انه اراحه من عناء لا قبل لمثله باحتماله ، والثانيـة انه كفى نفسه مغبة سيئة ، يوم تتفتح في غد العقول على الضياء فيمحى الزائف ، ويسلم ما ينبغي له ، وينتهي الامر !

صلاح الاسير



الناسِكة

بقلم الياس ابو شبكة

حبيبي ، على هذه الرابيه احس خيالك يرقى بيه
فاغلق ، الا على ما تحب روحك ، قلبي واهدابيه
اتيت احبك في ما تحب ويضفي على وحيك العافيه
فما دفق الشعر من اصغريك تجمّع في هذه الناحيه
أراه على المنحنى والخليج وفي هذه الغابة الجاريه
وفي ما يفوت عروق الدوالي وما يضمر الكرم للخابيه
أراه على أمل الزارعين في موسم الحقل والماشيه
وفي كبر الدلب والسنديان يحنو على دعة الساقيه
أتيت احبك في ما تحب واوصد دون الورى بابيه
فما عالمي غير مغنى الجمال اهواك فيه وتهوانيه
بروحك مغمورة يقظتي ونشوى بسحرك احلاميه
وحلمي بحبك لا ينتهي وهل تنتهي الغفلة الواعيه
مصادر وحيك معقودة بقلبي روءاها واجفانيه
ففي كل مطوى من الطير راو وفي كل منعطف راويه
من الارض انشق اعراف شعرك ريانة كالندى صافيه
احس لها في صميمي غليلا يخب على وهج اعراقيه
واسمع صوتاً كهمس عميق فاصغي لتسمع اعماقيه
وابصر ما لا تراه العيون فاطويه كالله في ذاتيه
حبيبي ، على هذه الرابيه اقرّب للحب إيمانيه
اذا هجر الحب دنيا القلوب فما تنفع الحطم الباقيه

الياس ابو شبكة

أتعرف من هي ؟ ؟

إياك ان تعرف تلك التي تهمس فيك همساً خافتاً يجتمع فيه حلو الكلام ومره، انسجام اللفظ وشذوذه، وتخاله لدقته وعمقه آتياً من غور بعيد لا يبلغ مسمعك الا وقد حولته الأبعاد تمتمة ؟

أتعرفها من هي ؟ تلك التي تخدعك ، ثم تخيبك ، فتجعلك بين لفظة ولفظة ، انساناً تكاد صفات الكمال تكتمل فيه، لكن تحولك بعد لحظة الى نقيضه ؟

أتعرفها تلك التي تبث فيك من سموم البغض والحقد والتشاؤم ما يحيرك ويزهدك ، ثم تنشر فيك من اريج الحياة وطيوبها ، ومن شذا احلامها واوهامها ، ما ينقذك من شر تلك السموم ؟

أتعرفها من إن قال عقلك : لا ، قالت هي : لِمَ لا ؟ واخذت تنشر فيك عللاً ودلائل تنفي صوابها وتبين ضلال العقل في سلوكه سبيلها ؟

أتعرفها تلك التي إن جست خفقة القلب ، ولحظت منه افتة ، سلطت عليه من اشعتها اشعة تتفجر من خلالها الغرائز ، فمرة تنبعث شعاع البصيرة والالهام ، ومرة شعاع الغيظ والكراهية ، ثم مرة شعاع السخط والشهوة وفرط الانانية ؟

أتعرفها تلك التي تلبس عند الاصباح حليها وحلاها ، وتتلون بشعشعة الوانها ، فاذا كان المساء ، وتأملت افقه وقد خلف الشفق عليه من الوانه اللون الازرق ، تحول بياض الصبح فيها الى زرقة لا تلبث على صفائها برهة ، ثم تكمد وتصير الى سواد يشيع فيها المرارة ؟

أتعرفها تلك التي ان استحسن المنطق فيك شيئاً استقبحته ، وان شاء عقلك تحديد الحدود انطلقت الى ما وراءها ، وان ابى القلب الا رحمة ورضى ، ابت الا غضباً وقسوة ؟

أتعرفها تلك التي لا ترضى عن شيء ولو رصع بالجوهر والدر ، ولا يرضيها شيء بالغاً ما بلغ من الجودة والكمال ؟

أتعرفها من لا تغفل عن العيب مهما تفه وخفي ، ولا تتغاضى عن النقص مهما صغر ودق ؟

أتعرفها معذبتك ومفرحتك ، مهينتك ومعززتك ، مؤنستك ومؤلمتك ، ومبعث كل ما يتنازعك من الم ولذة ؟

أتعرف من هي التي تجعل من شخصك الفرد جملة اشخاص ، يختلفون فيما بينهم ، فيتنافرون ويتناقضون ، ويثور بعضهم على بعض ، حتى يقوم فيهم من يخمد لهب الثورة ، ويسوي النزاع بينهم ؟

أفلا تعرفها تلك التي ان عفوت عن شيء ، قالت : لِمَ عفوت؟ وان رغبت عن شيء ، رغبتك فيه بمختلف المغريات . فاذا طاوعتها وسعيت اليه وراءها ، انصرفت عنك وتركتك وحدك تتخبط وسط خضم من الهواجس واللواعج والالام، ولا ينقذك منه الا قوة المقاومة الطبيعية التي فيك ؟

أتعرفها تلك التي تخفق بين جنبيك ، وتتمشى بين اضلاعك واوصالك ، وترتعد وتهتز في جملة اعضائك ، وتنبض في كل عرق من عروقك ؟

هي جماع شخصيتك وكيانك، وحجة فرديتك وانانيتك

هي تلك التي لا تجدها ما لم تفقدها ، ولا تعرفها ما لم تجهلها ، وهل من سبيل ان تجد نفسك ان فقدت نفسك ، وان تعرفها ان جهلتها ؟

يا ويلك منها، ويا ويلها منك ! ويا ويلكما من الحياة ، ويا ويل الحياة منكما !!

ملك وشيطان، نبل وضعة، قوة وضعف ، طيبة وخبث ، ثم عبقرية وخمول : تلك هي العناصر التي يتكون منها ما يجيش مع الحياة فيك ويختلج ، وقد دعوه نفساً !!

دمشق

فلك طرزي

الداليـــــة العاقر

بقلم الياس خليل زخريا

هذه دالية عاقر، زرعها جار، منذ اعوام، تحت، في الجنينة بحافة الحوض فشبت عجلا وتطاولت عنقها، واعترشت المساميك الخشبية المركزة فوق في فناء السطح، ومرت علينا بجانب الشرفة الجنوبية، مشمخرة لا تعطي ولا تأخذ .... تظنها وهي تحمل جذعها النحيل وانت لا ترى عباب اغصانها، شجرة ثرية مخصابا تتهلل زهوا بعناقيدها على دوالي الحي من قلب السطوح العالية ..

ويضيفنا الموسم فنخرج نحن والجيران الى مشارف الدار ونتفيأ في عريش الدالية، ونفتش عن خصلة حصرم، او حبة عنب، فلا نجد الا الورق العريض والمواعة المترقرقة.

غريب امرها فهي كما يقول جارنا لم تعقد يوما. موسمها نضارة وغو، وشلح افياء، وعصافير الدوري.

ونسأله بدهشة، لم لا يقطعها حطبا، ومن تراه يقتني كرمة عاقرا ذات افياء ثقيلة، وهواء ثقيل وحتات ورق يملأ الحي غبارا. فيؤكد لك انه يسمدها بيده، ويسقيها بيده، ويقيها بيده، ويركز، قبل الشتاء، مساميكها، فهي أحب اشجار الجنينة عنده ... وتضحك بدهشة، فيؤكد لك مرة ثانية ان احب الاغراس اليه غرسة لا تثمر، لان المثمرة عنده اخت المنتحرة، وصاحبنا يكره الذوبان والتفاني وهو يتمنى لو غار خير نفسه كله في نفسه كما تغور احلام عناقيد تلك الدالية في عروقها خوفا من شفاه الفصول النهمة.

وعنده ان الخلق اغراء واغواء، وضعف وحيلة فاشلة مع الموت وان العقر شجاعة قاسية وايمان عميق وبطولة جبارة.

الشجرة، الشجرة، هي التي تهزأ بالمنجل والمعول، وان خبأت سرها في ضلعها وعاشت في الكتمان، والعزلة والغيبة، عيشة البحيرة او النجم الازرق. اما تلك التي شاع ثمرها وعرف طعمه الناس وتكنت بها الفصول والايام فقالوا مثلا: شهر التفاح ويوم الاجاص لنبتة قطعت من قلبها عرق الشوق والشهوة واللهفة السرمدية.

قلت هذا هو الانتحار.. قال سمه انتحارا او بعثا فالمهم ان يظل التراب في عمله، والاصول في مصها والساق في مده والاغصان في وعيها، ودفعها، وان اظل انا وحدي اعتقد ان الخير نوع من انواع الشر، وسر من اسرار لياليه.. وتصورها دالية عاقر تشرب وتمتد وتزهر وتأكل ثمرها ثم تجد في الناس واحدا مثلي يعتني بها ويقدس عرقها وينصب لها المساميك على الاعالي المطلة ويتمنى بالاحياء من هؤلاء البشر لو يبنون امنياتهم على غرار امنيتها فيناموا خرسا على بذرتهم ولا يسلموها لايدي الشتاء

فوجوه الربيع. لناخذ غرسة الدوالي كلها منذ قبيل يوم الطوفان، منذ ابتدأ نوح يكون فلاحا يغرس الكروم ويشرب فيسكر فيتعرى فيسرع ابنه الصغير بالخبر الى اخويه فياخذان الرداء على اكتافهما فيمشيان الى الوراء فيستران عورة ابن جدنا فيستيقظ نوح من خمره كما تقول التوراة ويلعن ابنه الصغير ويبارك ولديه الآخرين ....

لناخذ الدوالي منذ ذلك اليوم ساعة كان المسافر اذا عطش مد يده وملأ طاسه من خوابي الكوثر وساعة كانت عورة الخمرة بنت اللعنة المقدسة نر ان الدالية نبع الشك والظن وان عصير العناقيد وبوح الادنان زيت النفس المجنحة الى العتمة.

... وترغبون بعد في كرمة غراء، تفتح لكم ابواب وادي العقيق وتحدو اجنحة الاخيلة والطيوف، وتشق بؤبؤ البصيرة ثم تصحون الصحوة فاذا بالقافلة النفسية في سراب حلم... ومن يشبع من السراب؟ ان الرمل نفسه وهو يلهث بينابيع الآل يتململ عطشا وحرا.

لا بد للنفس، هذه الغرفة المسمرة، التي غلقت طاقاتها جنيات الليل من كلابة تقتلع المسامير ولا تمسها يد السقاء فبنت العنب تخدر الم لا ميبرىء عياء.. يجب ان نفتش عن الطريق في غير اقبية الخوابي

قلت... وبعد... وهذه الدالية العاقر متى تقطعها ??? احتطب يا صديقي فالانتحار، والتأسي عن الانتحار، وابداع الحجة الموهومة لا تشفي العطش، نحن عطاشى فاسقنا يسقك الله.. لعل هذه العاقر التي عرشت بوقاحة على السطوح تغار فتحبل بالعناقيد ....

.. ان من لا يعرف الحيرة ورعشة الضلة لا يعرف اللذة ...

... اثمري... اثمري يا عاقر...

وتناولت منجله وضربت ساقها بقساوة فضحك وضحكت طفاح فجوات الحي. وادركت لاول مرة ان العقل اخو التيه والضلال. ويل للدالية التي لا تعربد فتثمر وإن فجورا ....

اشرب يا جارنا اشرب.

لما نزلنا من فوق المشارف علم جارنا لأول مرة كيف تتمطى الادراج والجدران تحت القدم وكيف تزلق العين من بين الاجفان.

ترى !!! اين هي الدالية العاقر ومن اقتلع اصولها ???

الياس خليل زخريا

«ثمالات»: كتاب بعد

الاكتشافات والصدف

بقلم امين الغريب

◆

كان ولم يزل للعوارض الواقعة صدفة واتفاقاً فضل كبير على اكثر الاختراعات العجيبة والاكتشافات المهمة . بل ندر ان يكون احد الناس قد فكر عمداً في شيء يريد اختراعه او اكتشافه فتم له ذلك .

ان كولمبس نفسه قدّر ان ما كان معروفاً من اليابسة في عهده لم يكن كل اليابسة . بل لا بد من ارض تقع وراء بحر الظلمات . وبعدما اقتنع بصحة نظريته بناء على المقايسات العلمية عمد الى اقناع الملكة ايزابلا والملك فردينان الاسبانيين . فاقتنعا ورهنت الملكة مجوهراتها لتمويل الحملة الاكتشافية التي ألفها كولمبس من ثلاثة مراكب .

لكنه لما اطال السير في المحيط الاطلنطي يئس من صدق فراسته . وما وطئت قدماه الارض حتى ظن ان هذه هي الجهة الشرقية من الهند الاسيوية . ولذلك دعيت البقاع الاولى التي طرقها في العالم الجديد « الهند الغربية » ودعي البشر الحمر الاصليون الذين رآهم في اميركا « هنوداً » .

فعلى هذا يمكننا عدّ اكتشاف اميركا من بعض الوجوه وليد الصدفة والاتفاق .

في عهد الفينيقيين كان بعض تجارهم المسافرين يحملون على طريق رملية كمية من الصودا . فاستعملوا منها قليلا لايقاد نار يصطلون بها في البرد . واذا بالصودا المشتعلة تمتزج بالرمل وتتألف منها مادة شفافة لامعة . فكان ذلك مبدأ اختراع الزجاج .

وكان بعض الرحالين في اميركا يوقدون حطباً في غابة . فاشتعلت الارض منها وأطلقت ناراً حمراء شديدة . فكان ذلك مبدأ اكتشاف المناجم المعروفة بالفحم الحجري . وهذا الفحم انما يلقب بالحجري لانه متجمد كالحجر . وليس في الاصل الا نباتاً دفيناً في بطن الارض كرت عليه الدهور فتحوّل الى فحم شديد الصلابة .

وكان اسحق نيوتون العالم الانكليزي منطرحاً على ظهره تحت شجرة تفاح . فسقطت تفاحة منها على انفه . فرعف وقام مذعوراً متكدراً . لكنه لم يكتف بالكدر . ولا تلفظ كالسفهاء بكلمات غير لائقة للتفاح ومن زرعوه . بل اخذ يتساءل لماذا تسقط التفاحة على الارض ولا تذهب صعداً في الفضاء . وقاده التفكير الى اكتشاف ناموس الجاذبية في الكون فوسع بذلك معارف البشر توسيعا مهما .

وكان غليلاو الايطالي يصلي في احد كنائس بيزا . فرأى القسم الاعلى من شمعدان يسيل منحرفاً قليلا الى جهة واحدة . فساقه التفكير فيه الى اكتشاف دوران الارض . وكان الناس الى ذلك الحين يحسبونها ثابتة . ولما حجه معارضوه بالقوة الغاشمة وارغموه على التصريح بانه اخطأ في زعمه وان الارض ثابتة صرح لهم بما يريدون . لكنه عند خروجه من بينهم واجتيازه عتبة الباب قال في نفسه « وهي مع ذلك تدور » .

ومشت دجاجة مرة على وحل . ثم مشت على خشبة نظيفة . فحاول صاحب الخشبة ان ينزع الطين عنها . واكتشف بهذا العمل نوعاً من الدهان للتلاوين كان المصورون يبحثون عنه منذ زمن بعيد ولا يجدونه .

وكان فران يخبز لوناً من الاطعمة في اناء . فتولاه النعاس واحترقت الطبخة . ولما انتبه تكدر جداً للخسارة . وتكدرت زوجته اكثر واكثر . ولكن بذلك تمكن من اكتشاف نوع من السعوط هو افضل المعروف من هذا الصنف .

واحدث ولد شرير ثنية في قرص قبعة قاسية . فكان ذلك سببا لايجاد القبعات الطرية للرجال والشيء بالشيء يذكر .

فان ملك الانكليز دخل قاعة عند مباشرة الحضور ترنيم « هللويا » فقاموا اجلالا له . ومن ذلك الحين ما زال الانكليز يقفون عند ابتداء هذه الترنيمة .

ورفع احد الفرسان في الزمن الماضي خوذته عن رأسه امام رجل كان يبارزه دلالة على التسليم فصار الافرنج من ذلك الحين يكشفون الرأس عند التحية .

وكتب عالم رسالة طويلة مثبتاً فيها بحجج كثيرة ان سفر الباخرة من اوروبا الى اميركا مستحيل لاستحالة ايجاد باخرة يتسع جوفها للفحم الذي تحتاج الية في تلك الرحلة . فارسلت نسخة من هذه الرسالة مع اول باخرة قطعت الاطلنطي .

وحاول طبيب ان يثبت ان عضة الكلب لا تميت . وان الكلب ليس مريضاً . فمات ذلك المسكين بعضة الكلب .

وهكذا الصدف لا تزال عوامل مهمة في الحياة . وقاك الله شرها ايها القارئ . ومتعك بخيرها .

الذكرى السوداء

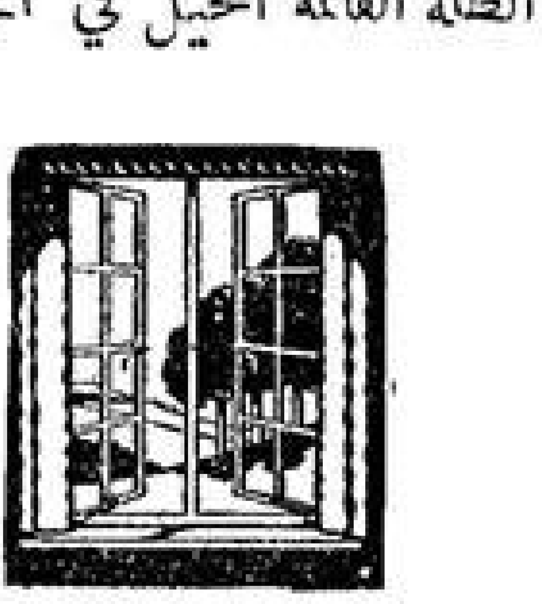
بقلم الياس ابو شبكة



٢٤ كانون الاول ١٩١١ — لم انم تلك الليلة، فالغبطة كانت تداعب قلبي الطفل وتغمره بوعود كثيرة . فغداً ، غداً يفاجئني المحافظ بان والدي ينتظرني في القاعة ليحملني الى البيت . وفي البيت اجد كل انواع الحلوى تنتظرني . وقد تقع عيناي على ثلاث مجديات او اربع ملقاة على السجادة بجانب المجلس وعلب الحلوى وعفاريت الغرب والشرق .

وغداً ، غداً مساء يصرف والدي الباسل سهرته في البيت تكريماً لطفله العائد من المدرسة ، فوالدي لم يكن يسهر في البيت الا في النادر القليل ، بل لم تكن النهارات والليالي تجده في بلدته الا في اويقات قليلة ، فقد كان من عشاق الابعاد ولا يقيم الا على سفر ، فاليوم في مصر وغداً في لبنان ، اليوم في لبنان وغداً في البرازيل او في استراليا او في الولايات المتحدة او في افريقيا او في السودان او في باريس او في لندن ، على ان ايام الميلاد ورأس السنة يجب ان تشرق عليه في بلدته ايان كان .

لم انم تلك الليلة بل صرفت الساعات انظر من النافذة القائمة بجانب سريري الى الطلة القائمة اتخيل في احشائها احراج الصنوبر



المنحدرة حتى مهوى بلدتي ، والصقيع المغطى دروبها الوادعة وسطوح البيوت والاديرة . وكثيراً ما انفذ الى البيت فاطوفه غرفة غرفة ، وانسل الى مرقدي امي وابي فابني في عينيها من الاحلام العذبة العشاش الذهبية القائمة في مخيلتي العريشة ، وانقل اليها كل ما في هذه المخيلة من متاع الطفولة .

ولما انتصف الليل شاهدت شبح المحافظ ينسل من مقصورته البيضاء ويقف في قلب المرقد ويصفق ثلاثاً ، فنهضنا جميعاً دفعة واحدة كأننا لم نكن راقدين . . . ولما دخلنا الى الكنيسة المشتعلة خيّل اليّ اني داخل السماء . فقد كانت المذابح مزوّدة بالاطفال وكلها تمثل الطفل العظيم ، وعلى هذه الدمى المقدسة تترامى سنابل من النور كأحلامي الذهبية .

كان الليل من ذهب والنهار من ثلج .

وفي الصباح جاء والدي مشرق الصورة فرأيت في ابتسامته البيضاء رمزاً للأب «نوئيل» . وهل كان « بابا نوئيل » غير والدي؟ فهذا الخروف، الخروف الملتف بفروته القطنية، المبطّن بالحلوى ، الناظر بعينيه البريئتين الى ما حوله من طرف الدمى في هذه الواجهة الضاحكة ، من يشتريه غير والدي ؟ وهذا الدب الملتحف صوفه الاشهب ، المحدق اليّ بنظراته العقربية المخيفة ، المحتل اظهر مكان في هذه الواجهة من يشتريه لي غير والدي ؟ والاب « نوئيل » نفسه ، هذا الشيخ السهاوي الضاحك في لحيته البيضاء ، الحامل على ظهره كل ما ابدعته المخيلة من الدمى والحلوى ، من يشتريه لي غير والدي ، بابا نوئيل ؟

المجد لله في العلى . وعلى الارض السلام ، وفي الناس المسرة .



٢٥ كانون الاول ١٩١٣ — في صباح ذلك اليوم دعيت الى غرفة كاهن جليل ، رحمه الله ، فقال لي وهو يبتسم ابتسامة كئيبة غامضة « سأحل اليوم محل والدك يا بني . » ولا ازال الى اليوم اشعر بتلك الرعشة الموجعة التي اشاعتها هذه الجملة في جسمي ، فقد أحسست في تلك اللحظة بان حياتي انتقلت من طور الى طور ، ولا اعلم اية فطرة ألهمتني الحقيقة فرأيت وجه والدي يتوارى الى الابد . على اني لم انبس بكلمة وتبعت الكاهن الجليل الى المركبة .



وفيما نحن في الطريق قال لي « والدك مريض » فلم اجب . وبعد هنيهة قال « انحب والدك . » فبقيت صامتاً . وكأنه شعر بنا في نفسي فقال متشجعاً « والدك في السماء . »فاجهشت في البكاء .

ومرت الايام وتلتهـا الايام . سواد حالك في البيت ، وسواد حالك في نفسي .

نحن اليوم في الخامس والعشرين من العام ١٩١٧ — لم يتبدل وجه الطبيعة ، فالسماء غائمة كعادتها ، والارض كعادتها عليهـا قشيرة بيضاء . على ان الحوانيت تجهم وجهها الضاحك ، فلا دمية فيها ولا حاوى .

والاطفال اصبحوا شيوخا بأعين بلهاء ، اجمل دمية فيهـا هي كسرة من الذرة ، واشهى حاوى ابتسامة من فم سعيد .

فقرت الحياة وغني الموت .

والمذود صار قبراً ، فالبؤس العظيم هدم الطفل العظيم ونحاه . وهدايا العيد . . هذه الجيف البشرية سقطت في ساحة الجوع ، يحملها ابناء القنوط الى القبر ، ولا يرف عليها شرف ولا خيال .



والحب . . صار عاهراً : كانت القبلة تعقد عـلى مذبح الخيال ، فصارت تشرى بما يصد عن الحياة ساعة من غارة الموت .

وبابا نوئيل . . صار هيكلا من العظام ذا جناحين معضلين يحمل بيده منجلا وعلى ظهره توابيت .

المجد لله في العلى ، وعلى الارض برك من الدم سوداء ، وهبت من الغرب رياح ناثرة بددت في الشرق اخيلة الجنـاح الرجيم ، فبرزت ازهار الامل تضحك في الاودية والربى ، وقهقهت الغبطة حتى في الكوخ ، واتلعت حتى البنفسجة الوديعة عنقها تحاول ان تخلع عنها الحياء القديم .

وكبركان ملت احشاؤه ضغط الحمم انفجرت الحياة بكل ما في احشائها من المخزونات ، فذابت تقاليد العائلة وانسربت الى مهوى سحيق ، وخشي الناس وجه الماضي لهوله فمحوه ، وسئموا الالم فطلبوا اللذة وشقوا لها دروبا .

وجائت اللذة فرساً جموحا فبذلت الاعراض مواطىء لحوافرها وسخرت لصهيلها الاذان ، وفي موكب هذه اللذة مشى حتى مذود الطفل وحتى بابا نوئيل .

فالمذود صار خمارة !

وبابا نوئيل . . تحول الى امرأة عارية الفخذين في فمها شهوة ، وفي عينيهـا نداء ، وعلى كتفيها فروة بيضاء تغطي نصف كتفيها .

والاطفال أصبحوا ممسوخا ، ألعابهم دبابات ، واذرعهم قصبات معطوبة .

والآباء . . يحيون ذكرى مولد الحب العظيم في كهف الحب الفاجر !

نحن الان في ليل الرابع والعشرين من كانون الاول ١٩٤١ . الاجراس تقرع في مغارة الطفل ، والسماء صاحية ، ولكن نجمـة المجوس منطفئة . .

المجد لله في العلى ! . .



في سبيل انشاء امة

زهرة تتفتح

بقلم منير المصولي
استاذ التربية في كلية المقاصد الاسلامية

كثيراً ما نتساءل : لو رجعنا الى السنة الاولى من عهد الطفولة ، هل يمكننا ان نعتقد انها خصصت فقط لانماء القناة الهضمية عند الطفل ؟ . . كلا بل انا بالعكس ممن يؤمنون بلوحة الشهور الاولى الحاسمة ، تلك الالة المسجلة المدهشة التي تعدنا لسن الرشد .

انظروا الى طفل مرت عليه بضعة ايام وهو في سريره ، تروه يرتعش عندما يطبق الباب ، ويتلفت حينما يتكلم احد بالقرب منه . كم كنا نود ان تكون بذرة فكره صحيحة سليمة وان تهيء له العادات المنتظمة اعصاباً متينة ! وكم كنا نود ان ينام في غرفة يسودها السكون ، ويخيم عليها النظام ! وان يستنشق الهواء النقي ، وان يسمع الانغام الرخيمة ، وان ينظر الى الالوان اللطيفة ! .

نحن نكتفي بتفاسير ناقصة ، حينما نريد ان نجيب على الاسئلة التي تنتاب فكر صغارنا . ولكني متأكد من اننا لو سمعنا المثل التالي ، لاستنتجنا منه مغزى عظيم الفائدة :

كان لطفل صغير مرضعة الزاسية ، وقد دامت هذه تخاطبه مدة سنتين بلهجتها المعروفة « تعال يا نونو » ، « كيف حالك يا نونو ؟ » . تأخر الطفل عن النطق ، فذهبت المرضعة وحل محلها واحدة من الاوفونيا ، وعندما بدأ الطفل بالتكلم ، كانت لهجته الزاسية .

ارأيتم كل ما حصل ، دون ان يتمكن الوالدان من ادراك ذلك ؟ .

كم من المرات نسمع الامهات تطرح هذا السؤال : « هل يتكلم صغيرك ؟ » – نعم ، هو لا يقول شيئاً ، لكنه يفهم كل شيء ، ويعرف كيف يفهم ما بفكره . »

كم من الاطفال يتأخرون سنة او سنتين ، وبعد ذلك يتكلمون فجاة بسرعة تدل على عمل التهيئة الذي تم في ادمغتهم الصغيرة ، انتم لا تعلمون اذا كان الطفل يفكر في الشهر الثالث من عمره ، ولكنكم متأكدون من انه يفكر عند ما يدرك عامه الاول . متى حصل هذا الانتقال ؟ لم يشعر به احد .

ينكشف الطفل في كل يوم عن صورة جديدة ، لم نكن ننتظرها ، وذلك لان له منذ البدء شخصيته وطريقته في التفكير ، ولا اظنكم تضحكون اذا قلت لكم ان طفلا في الشهر الخامس من عمره ، بل اصغر سناً ، هو بحاجة الى امور روحية .

اعرف طفلة صغيرة سافرت كثيرا وهي في اشهرها الاولى ، ولم تتألم مطلقاً من اعصابها بفضل التحفظ الذى اتخذه اهلها ، اذ كانوا يمددونها دائماً في عربة مخططة بمربعات زرقاء وبيضاء ، يوسعهم ان ينصبوها في القطار وعلى الباخرة وفي كل مكان تكون فيه الطفلة . وهكذا كانت الصغيرة تجد نفسها في محيط الفته ، فلا تضام من التبدل الدائم في حياتها ، بل تتابع بهدوء عيشاً افقه ازرق وابيض .

ان العادة التي تقضي بعدم حمل الطفل بين الذراعين ، بل بتركه هادئاً في سريره لهي عادة ممتازة ، لكن من الضروري ان نشغل الطفل اذا اردنا ان ينموا نموا منسجماً .

لنضع ورقة ملونة في اعلى السرير ، ها هما عيناه تعلقان بهذا الشيء الجديد الذي يثير اهتمامه .

اما سمعتم بعضهم يقول : « لقد تأخر صغيري في نموه ، هو لايقبض بيده على شيء » .

ذلك لاننا لم نضع باكرا بعض الامتعة في متناول يده ليقوم بهذه العملية الصعبة – اولى الحركات التي تتطلب ذكاء – ويتناقل الاشياء من يد الى اخرى .

لعلكم تعجبون اذا قلت لكم ان والد الحكيم الفرنسي « مونتين » كان يوقظ ابنه على نغم الموسيقى : ولا داعي الى العجب فكلما كان الانسان صغيرا كلما كان لنوع ايقاظه اهميته : ان اليقظة المزعجة تفسد جزءاً كبيرا من نهار الانسان .

حقاً ان الفكر لا يصبح نهرا دفعة واحدة ، وانما له ينابيع ، واذا ما اردنا ان نصارح انفسنا يسرنا مظهر هذه الينابيع .

لقد طبعنا على الخوف منذ نشأتنا : نخاف تلك الفظاظة التي تنزعوننا بها من نومنا الهادىء واحلامنا اللذيذة ، نخاف تلك الفظاظة التي بها يدخلون الى آذاننا ضوضاء الاصوات ، والى اعيننا منظر الحركات ، والى ادمغتنا اختلال الجمل .

لاحظنا انه في البدء كان غيرنا يفكر من اجلنا ، لكنه لم يكن لبقاً في طريقته : اسمعه يقول :

« ان تلمس هذا يأكلك الغول : « هكذا تكون العناية بنا ! ان اول فكرة تمنحنا اياها البشرية هي الكذب – وعليك ان تتدبر ايها الطفل الصغير لتنشئة فكرك .

يلتقط الطفل كل هذا بذاكرته الجديدة ، فترسخ فيها .

تتكون شخصيتنا فيما بعد من كل ذلك : من هذه الفوضى ، وهذه الاشياء الكثيرة المختلفة . ان هذه الافكار العديدة التي تتسابق الينا ، وتعلن عن وجودها ، توقظ فينا افكارا غيرها لا صلة ظاهرة فيما بينها .

يجب ان نتبنى هذه الافكار العديدة الحاضرة التي تضم الافكار المنتقلة الينا بواسطة الماضي ، ونكون بها ذاتيتنا .

لقد جرب المربون ، بواسطة اساليب حدائق الاطفال ، بصورة حكيمة ، تهيئة الغذاء الذي يقبل عليه الطفل ، انما المصيبة الكبرى هو عدم وجود « حدائق للوالدين .

دعاة البعث في الادب العربي

بقلم كرم ملحم كرم

يطلع القرن التاسع عشر على الناس والثورة الفرنسية تمعن في التثقيف والهداية . فتلتهب شعلة في باريس لتضيء الدنيا على رحبها ، فكأنها اضطرمت لتحرير الدنيا من الجهل والاسترقاق والمذلة .

ولقد استيقظت العقول على مهزة ، وأيقن ذوو الادراك انهم يملكون تفكيراً حراً ، وان للرأي ان يعلن دون ماخشية من فتكة طاغية ، ولا رهبة من عقاب زنيم .

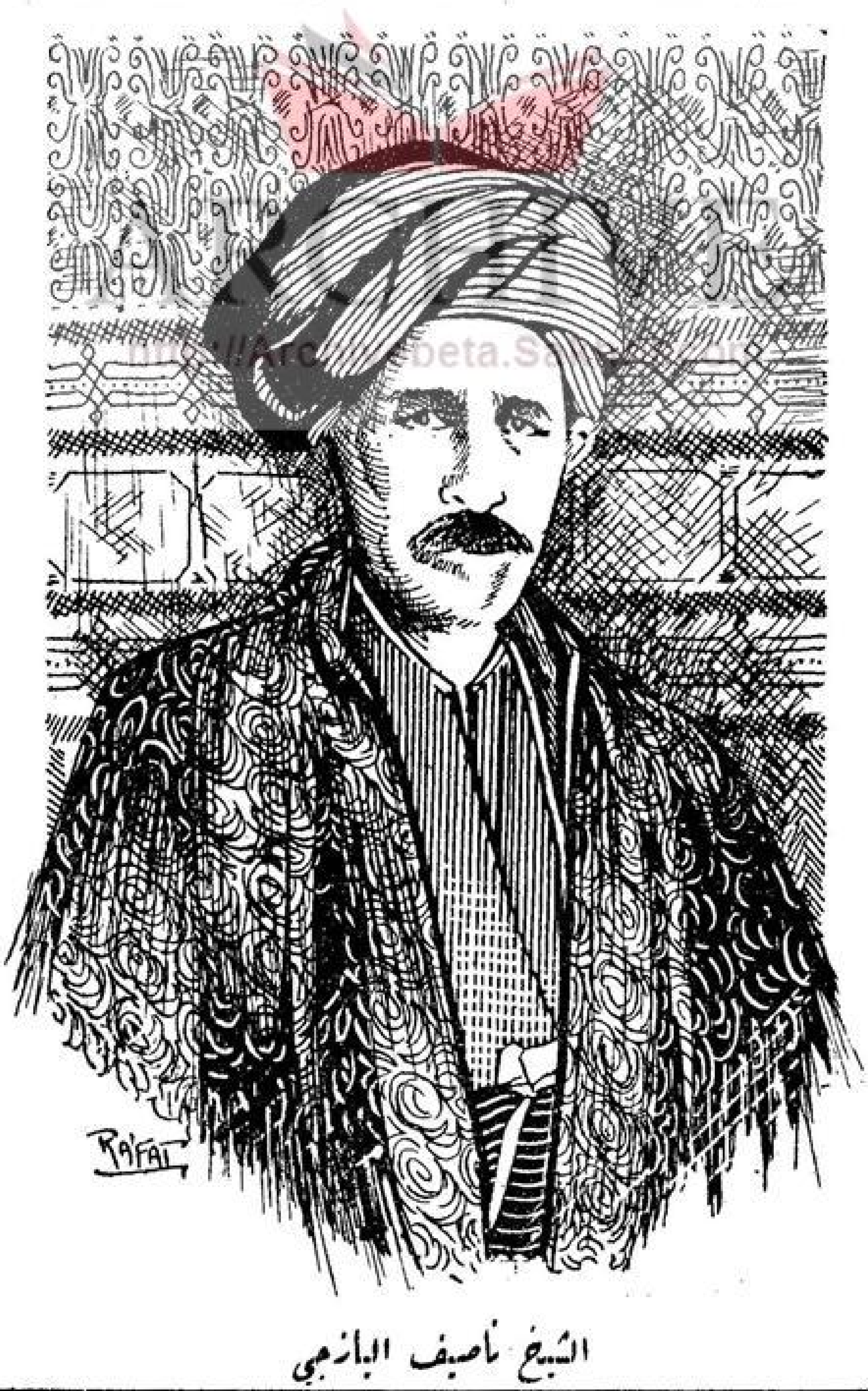
وفي مطلع ذلك العهد ، عهد النور ، انبثقت اماضة في الوسعة العربية كتب لها المقدور ان تظل على وهج كالمنارة . وهتفت القوابل في وكر وديع في كفرشيما ، المنبطحة في رمال الساحل اللبناني كدمية اتعبتها مكافحة الامواج ، ان الشيخ عبدالله اليازجي رزق غلاماً ميمون الطلعة . وسئل الاب عن اسم يخلعه على الوليد فتمتمت شفتاه في نشوة الغبطة : نصيف ! »

ولم يكن القرن التاسع عشر قد حبا من عشه . فهو لا يزال حديث العهد بالانفاس يطلقها على مدى ، وبالنور ترف فيه اهدابه وتنغمس عيناه . فالتاريخ لا يبرح يكتب مجاليه في الصفحة الخامسة والعشرين من شهر اذار لسنة الف وثمانمائة من عهد المسيح .

وآل اليازجي من حمص يدينون بالمذهب الارثوذكسي . ويمم في اواخر القرن السابع عشر فريق منهم لبنان ينعم بطيب هوائه وسيل مائه . والظافر في لبنان من يعصمه منصب ويحتمي في ظل الولاة . ولقد انتجع احد اليازجيين في منتصف القرن الثامن عشر عمال الدولة العثمانية فوكلوا اليه امر الكاتبات في دواوينهم . ومن المأثور عن اليازجيين جمال الخط على وشي وتنميق ، مما خلع عليهم لقب « اليازجي » وهو في اللغة التركية الكاتب . وتوالوا في الدواوين ، الابن بعد ابيه ، وانتهى بهم المطاف الى كفرشيما وقد جهروا بمذهب الروم الكاثوليك .

وما استقروا في كفرشيما الا والقرن الثامن عشر على وشك الذبول . فمال والد الشيخ نصيف ، وهو عبدالله بن نصيف بن جنبلاط اليازجي الى ممارسة الطب لكسب قوته وقوت عيلته . وفن الطب انتقل اليه من رهبان الشوير ، والبلاد العربية تخلو من معاهد للطب ينهل منها يومذاك الطلاب رشفات العلم ، فالممارسة مصدر كل فن وحرفة . وبلغ عبدالله من حرفته مبلغ الحذق ، فشاقه ان يقتفي ابنه ناصيف خطاه ، وان ينصرف الى التطبيب يضمن به مقامه ومعاشه .

فالطبيب ، هذا العالم باسرار الجسد ، المنكب على الاسقام يبريها ، ملك لدى الناس شأناً رفيعاً واحتراماً



الشيخ ناصيف اليازجي

وازناً . وعبدالله اليازجي خبر الامر بنفسه وهو يحترف الفن، فلماذا لا يرث ابنه نصيف عنه حرفته ، فيعيش في وفر واجلال ؟.

وجزم وأبرم . نصيف سيكون طبيبا يجتث الداء ويشفي الآلام . واعده ابوه لعلم الادواء . بيد ان الفتى أدركته ، وهو يأخذ الطب عن ابيه ، حرفة الادب . ونشأ على غرار اسرته في جودة الخط وزخرفته . فنظم الشعر وهو يحمل المبضع . وجلس في حلقة الزجل يطرب المسامع فيما يداوي الاجساد .

وأبوه لم يكن غريباً عن الزجل والشعر . ومن هو الغريب في لبنان عن الادب ، متعة النفس ، وكل ما في لبنان يهيج الحس ويجنح العاطفة ؟.. فالحارث في حقله ينشدك الشعر ويروي اخبار الزجالين ونوادرهم . والقروي في اعالي الصرود يغني ويعطيك ، وهو لا يدري معجزات البيان . والراعي فيما يقود مواشيه الى المروج والادغال يطالعك بانفس المعاني في اصح الاوزان . أفلا يكون نصيف اليازجي ، ابن لبنان ، وقد نشأ في بيت نبض بالعلم والادب ، شاعراً يتذوق ثمار الخيال وذوب الاحساس ؟.

وتأدب الفتى على القس متى الشبابي . ولمس فيه مؤدبه الميل الى الادب وقرض الشعر فاضرم فيه الجذوة المتحفزة . وحدثه عن فحول الادب في ذلك الحين وما بلغوا من سؤدد ومجد . ولم تبرح قصائد القس حنانيا منير ومقاماته طرية المجس ، طنانة الصدى ، فهي حديث الناس . فأقبل عليها ابن الشيخ عبدالله اليازجي يحفظها ويرويها . وحفظ للقس حنانيا قصائد من الزجل وهي بضاعة ملأت يومذاك لبنان وقد تدفقت غزيرة كسيوله ، عذبة كمائه . ورأى الفتى مرأى العين الحظوة الناعم بها نقولا الترك وبطرس كرامه لدى الشهابي المقدام ، الامير بشير الثاني ، فحدثته النفس بان يكون في ديوان ابي سعدى يتمتع بمثل جاه الشاعرين ونفوذهما الوطيد الركن ، البعيد الاثر .

ولن يكون ذلك الاديب المرموق ان هو لم يتقن لغة قومه . فاتقنها بمطالعة خيرة المؤلفين . واذا مسته الحاجة الى كتاب ضاقت به يده بحث عنه في الاديار وجاء به ينسخه بخطه الجلي القسيم . فنسخ القرآن ، وديوان المتنبي ، ومقامات الحريري ، ومؤلفات القس حنانيا منير ، وقبيلا من نظم العهود المنسلخة والاخذة بالانسلاخ . وحفظ كل ما نسخ لا تفوته منه كلمة وهو الايد الحافظة ، النقي الذهن .

وما توانى في ما اراده عليه ابوه . دعاه الى التطبيب وهو ذلك الطبيب . الا انه طبيب شاعر وقد جمع اصول الطب في ارجوزة « الحجر الكريم في اصول الطب القديم » . ولم يكن بد من هذا السجع في العنوان وروح العصر يقتضيه .

وحفظ نصيف التواريخ وكاد يكون فيها حجة وثقة . وشاقته الموسيقى ، والشاعر يميل الى الطرب ، فزاولها وألمّ بها ، غير ان صوته خانه في ادائها فصدف عنها مكرهاً أسيفا .

وجرى فيه الشعر على سماحة الطبع وسلاسة الفطرة . فلم يكن متكلفاً ولا نحاتاً كأنه على ينبوع سلسال . ولقد تحفز للنظم وهو لا يعدو العاشرة . وران فيه الادب على الطب فطمع في ان يبلغ من زمنه ما بلغ الترك وكرامه . هذا هدفه . يريد ان يكون كاتباً في ديوان !.

وتبسمت له هذه الامنية لدى البطريرك اغناطيوس راعي الروم الكاثوليك ، ولكن أين جاه البطريرك من جاه الامير بشير ؟..

فأقام لدى صاحب الغبطة سنتين ثم عاد الى كفرشيما يكتب وينظم . فالشعر الصافي بدأ يجيش في نفس الشاعر الرجيل .

وانطوت نفسه على حنين الى بيت الدين مثوى الشهابي الضخم وفي الرابعة والعشرين من عمره جنح به حنينه الى الاشادة بفضل الامير . وكان الشهابي قد ظفر بالشيخ بشير جنبلاط ولوى شكيمة الثورة المستفحلة في الشوف فأنشده اليازجي :

يهنيك يهنيك هذا النصر والظفر ... فانعم اذن انت بل فلتنعم البشر

فاطمأنت نفس الامير وسر بالفتى النجيب . على ان الامنية لم تنعم بالجاوة . فقعد نصيف على نارها اربع سنوات يصلى بحرقتها . ولم يصبر على طول الحرمان فطفر الى بيت الدين يحادث في امره الترك وكرامه . فشفعا فيه لدى الامير واحتل مقامه في ديوان سيد لبنان .

وبقي نصيف في خدمة الشهابي اثنتي عشرة سنة، من ١٨٢٨ الى ١٨٤٠ يوم دعي الامير الى استانبول يلقى فيها مغبة نصرته لابراهيم باشا المصري على الدولة العثمانية . فانخلع الشيخ نصيف عن بيت الدين ولم تطب له السكنى في كفرشيما ، فاعتصم وعيلته ببيروت يبحث فيها عن موارد رزقه ويطلق في جوها مواهبه الفائرة .

واين موارد رزقه ؟.. في التعليم . وكانت ريح العلم في مطلع هبوبها . فالمطبعة عرفت طريقها الى الشرق وراجت سوقها على مباراة وزحام . مصر تنافسنا بمطبعة بولاق وكتبها . والاميركان واليسوعيون ينافسون بعضهم بعضاً في طبع التوراة والاناجيل وكتب العلم . والى من تتجه الانظار في السبق ؟.. الى فارس يجلي في المضمار . ولقد اتجهت الى الشيخ نصيف رجل الساعة . على ان

الشيخ تولى التعليم في المعهد الوطني لمنشئه المعلم بطرس البستاني صاحب « محيط المحيط » ، وفي المعهد البطريركي للروم الكاثوليك . ونهج نهج ابن مالك في ألفيته فجمع الصرف والنحو في ارجوزتين «الجمانة في شرح الخزانة » و « نار القرى في جوف الفرى » . وتمددت تآليفه في هذا المنحى فأنشأ ارجوزته «لمحة الطرف في اصول الصرف» ومختصراً نحوياً نثراً هو « طوق الحمامة » وارجوزة « الباب في اصول الاعراب » ، وانتهى الى كتابة « فصل الخطاب في اصول الاعراب» وقد جمعه نثراً ، وهو فصل الخطاب حقاً في الصرف والنحو .

فتعاظمت مكانة الشيخ . ولم يجد الاميركيون لهم عنه غنية . فدلفوا اليه يستعينون بمواهبه على النهوض بمستوى اللغة العربية في معهدهم . وأصابوا من تفوقه اللغوي حاجتهم بان عرضوا عليه ترجمة الكتاب المقدس ينظر فيها ، مع ان ثلاثة تظاهروا عليها ، عالي سميث وفانديك وبطرس البستاني .

ولكن الشيخ ما اشتفى . ففي نفسه اشياء . لقد لجت به معجزته اللغوية في صوغها بمظهر اوفى لمعاناً وأقرب ملمساً . وكيف يجلوها ؟ . بالمقامات . فلن يكون القس حنانيا منير ونقولا الترك أطول منه باعاً . وشمّر عن ساعديه . واهتدى بهدي الهمذاني والحريري . وما انثنى الا وهو يطوي ستين مقامة حفل بها « مجمع البحرين » .

بل ان للمقامات حكاية اوفر نضرة وطرافة . فالشيخ نصيف بانحداره الى بيروت ضمته الجمعية السورية اليها . وهي عصبة من رجال القلم والفكر والفضل تعوّدت ان تطلع على الناس بنشرات تختلج بالحكمة والادب والعلم . فنفحها اليازجي بمقامته «العقيقية» فلقيت الاعجاب والاستحسان ودعي كاتبها الى المضي في هذا الطريق الصعب المرتقى ، الريان الختام .

و « مجمع البحرين » - ولا جدال - كتاب القرن التاسع عشر في الادب العربي فكأنه عنوانه الاوحد وثمرته الاوفى نضجاً والاطيب عصيراً . انه لحجر الزاوية في البعث وليس من كتاب يضارعه في قوته وجدواه . فالبعث قام حقاً عليه . ولا عبرة بالقول ان الهمذاني والحريري بلغا المنتهى ، وان التابع يقصر عن اللحاق . فالهمذاني سبق الحريري في العهد ، فهل كسفه ؟ . . وابن دريد كاد يسبق الجميع ، فأي نجم أطفأ ؟ . . ثم ان اللغة في بعثها بحاجة الى قلم ثريّ بالالفاظ يشيد دعائمها ، فلم تجد غنى عن ساعد الشيخ نصيف تستند اليه وهي تمزق عنها الكفن ، وتتشوق الى التمتع بالنضارة وطيب الحياة .

وانحنى علماء اللغة والادب وجيل الشعراء امام الموهبة المتلألئة . فأحسوا منها الفتح والابداع . واستوى الشيخ نصيف على اريكة الامامة وبات نظيمه ونثيره قبلة وهدفاً . فكاتبه العلماء من كل فج وصقع ، وساجله الشعراء . وسمع به المستشرقون فتبادلوا واياه الكتب ، وطلبوا اليه موافاتهم بارائه ومقالاته . فأجابهم بهمة من اوتي رحابة الجلد وسعة العرفان . وفي رسالته الى المستشرق « ده ساسي » دليل ناصع على بسطة علمه ونفاذ بصيرته .

وأضحى قطب اللغة والادب في زمنه . هو المصدر والمرجع . وهام بالبيان فادناه من الفهم في عقد « الجمان » ولف « الجامعة » على علم القوافي والعروض . وطبع ثلاثة دواوين من الشعر هي : « نفحة الريحان » و « ثالث القمرين » و « فاكهة الندماء » . والديوان الاخير عرض فيه اليازجي مساجلاته وادباء العصر .

ومنزلة الرجل في ايامه تنبيء بها السطور النابضة في هذه الصفحات . وانطباعه على الشعر جعل احياناً من القريض رؤيا ترتسم في اجفانه المغمضة وهو ضجيع السرير فيهب من نومته ويكتب في الورق ما انزل في عينيه الوحي من رصائع المعاني والالفاظ .

فالشيخ نصيف خاض بحور الادب على انوائها وغوارب امواجها وأمن الغرق . والربان الماهر لا يحفل بالخضم في ازباده او سكونه . فانه ليدفع السفينة الى محجة الامان على طمأنينة رحبة وثقة غلابة .

واليازجي علا في نثره وشعره وعلمه . فشبب ، ووصف ، ومدح ، ورثى ، وهدى بشعر جارى فيه ابا الطيب . وهو وان لم يبلغ سمو ابي الطيب فلم يتقهقر عن مراكز المبدعين . ولقد تلاعب بهذا الشعر كأنه ملكه . وماشاه القريض كأنه طوع يمينه . فأقامه الشيخ وأقعده ، ولواه وطواه . ونزع منه عيونه فأبصر . وجاد عليه بها فاضاء ، وقد تقاذفه بين مهمل ومعجم . فان تقرأ هذا الشعر شطراً شطراً وقعت في كل شطر على تاريخ . واذا جمعت اوائله حرفاً حرفاً وقفت امام ابيات من الشعر . واذا انشدته من اوله قرأت شعراً . وان تبدأ انشاده من ذيله راعك الشعر . فالصنعة فسحت لها طريقا الى منظوم اليازجي . ولكنها صنعة دعا اليها حب التفوق ، لا جفاء الطبع السميح . ومع محاولتها لم يخرج شعر الشيخ نصيف عن سلاسته، الا انه جهد مهدور قضت به روح العصر السائد ، ونزوة الغلبة المستعرة بها انفاس الموهوبين .

***

لم ترفق الايام بالشيخ نصيف في زمنه الاخير . فأقعده الفالج نحواً من سنتين في السرير وكان قد بلغ التاسعة والستين . وقبل

موته باسابيع شاهد حبيباً ابنه البكر في قبضة الموت · فانطفأ في ٨ شباط ١٨٧١ لوعة على «حبيبه» وهو يبكيه برثاة لم يتمها وقد عصب جبينها بقوله :

ذهب الحبيب فيا حشاشة ذوبي   أسفاً عليه ويا دموع أجيبي

ورفاته يستظل افياء مقبرة الروم الكاثوليك في محلة الزيتونة في بيروت · ونقش في رخام الضريح تاريخ وفاته وابنه الشيخ ابراهيم · على ان الدولة العثمانية أبت في البدء نقش التاريخ وقد نعت الابن اباه بعلَم الهدى · ثم رضيت بعد سنة عن النعت واجازت النقش والحفر ·

وابناء الشيخ نصيف ثلاثة : حبيب وخليل وابراهيم ، كلهم ساهم في النهضة الحامل مشعلها ابوه ، حتى ان ابنته ورده استنارت بقبس الاب ودرجت في رحاب أدبه النضيد · وابنه ابراهيم خلفه في امامة الادب ، فلم يكن يجيز ان تقال في ابيه كلمة تند عن الطبع السوي · وتعصبه لهذا الادب مال به الى اصلاح كل هفوة منه ، وان سهوا ، تؤخذ عليه · فأعاد النظر في تآليفه ، وشرح بعضها واختصر بعضها · وأتم شرح ديوان المتنبي ، وكان قد بدأه ابوه ، وعزاه الى ابيه ·

وشدة غيرته على ولي نعمته اهابت به ذات مرة الى الطعن على صديق له روى في مقال كتبه عن عظمة الشيخ نصيف ان اليازجي هام بامرأته ام حبيب · فرمى الشيخ ابراهيم المجتري على هذه الرمية براجم القول · فان اماً ارضعته لبنها لا يتناولها فم حتى بمديح · فهي كامرأة القيصر ، بعيدة عن الظن ، ارفع من ان تجيز للسان ان يتفكه بامرها في مقال او حديث !··

وعن نصيف اليازجي اخذ المتأدبون · وسار البعث اشواطاً في الطريق وهو يذكر قطب الدائرة من ارباب الفضل عليه باعجاب الكريم ، واحترام الوفي !··

كرم ملحم كرم

من شعر

للشيخ ناصيف اليازجي

اخاف اذا أشار براحتيه   لعلمي ان روحي في يديه
ويخفق عند نظرته فؤادي   لان سواده من مقلتيه

***

قف بين ريحان العقيق وضاله   وقل السلام على العقيق وآله
وقل السلام على المنازل من فتى   لم يعمد غير سلامه وسؤاله
ربع وقفت مناديا اطلاله   فبليت حتى صرت من اطلاله
قد كان لي صبر كبعض سهوله   واليوم لي شوق كبعض جباله

***

حواك وقد حللت بكل قلب   فؤاد لم يحل به سواكا
نزلت به على طلل تنائى   ولست بمن على طلل تباكى
اطعت العاذلين بقتل صب   يريد القتل لكن عن رضاكا
تعز كرامة ويهون ذلا   فتأنف ان يقول دمي فداكا

***

كلنا يبتغي من العيش ضربا   وسرور الفتى بما يبتغيه
انما نحن في اختلاف عقول   مثلما نحن في اختلاف وجوه
ربما طاب للفتى ما كرهنا   وهو منا ، وعاف ما نشتهيه
لو تساوى المذاق لم يك في الد —   نيا خسيس ، ولم تقم بالنبيه

على هامش المعرض الفني الرابع للصور ١٩٤١

الحقيقة الفنية

وضآلة المدرسة الانطباعية

توطئة – ترجع النهضة الفنية المعاصرة في العالم الى نسب فرنسي من حيث الفكرة والاخراج اذ تفتحت انوارها على بزوغ فجر القرن العشرين ، وسميت بالمدرسة « السيزانية » نسبة الى مبتدعها الفنان العبقري « بول سيزان » . فقد ولدت في « مونمارتر » وترعرعت في عاصمة النور ، وشمل خيرها البشر عامة ، فتهافت الكثيرون من الفنانين غير الفرنسيين على الاخذ بها ، بل ان الكثيرين من هؤلاء الفنانين تركوا بلادهم وضربو بشهرتهم عرض الحائط ونزلوا في « مونمارتر » يلتمسون درس هذا المذهب الجديد في التصوير .



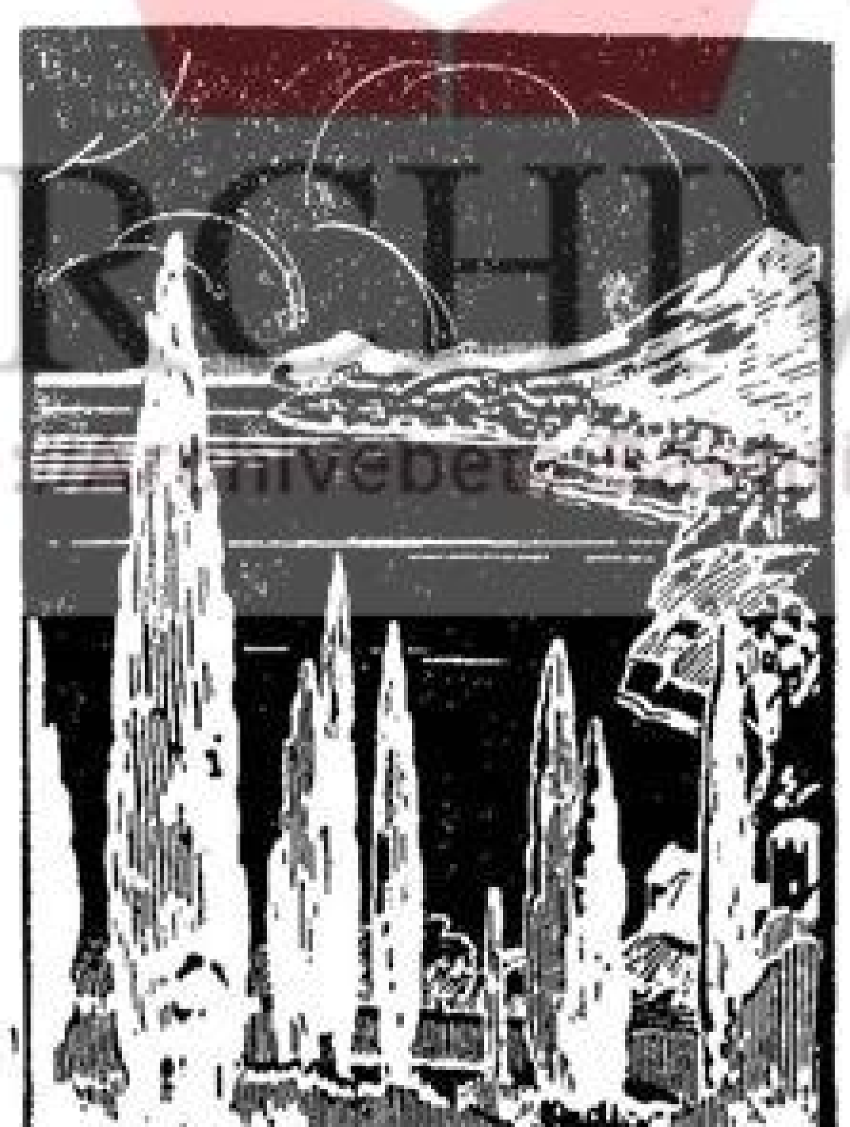
المذهب : كان بول سيزان سنة ١٨٧٠ لا يزال ينتمي الى المدرسة « الانطباعية » وكانت لوحاته المعروضة في مجموعة « كايابوت » في معرض لوكسنبورغ لا تزال معلقة على جدران الجناح الخاص بهذه المدرسة . واننا ملخصون فيما يلي ماينطوي عليه المذهب الانطباعي من المدلولات والاوضاع . فان مقامه من الادب كمقامه من الفن ، ونقصد بالفن ناحيته التصويرية ، ونقصد بالناحية التصويرية فكرتها وطريقة اخراجها « Traitement » وبكلمة واحدة الغرض الفني المعبر عنه على القماش بالالوان والخطوط وانسجامها .

الاركان : ان الفكرة المعبر عنها بالالوان والخطوط ترتكز بمدلولها ، في نظر المذهب الانطباعي ، على ثلاثة اركان . الاول هو الغرض الفني ، ويتناول الفكرة الفنية المجردة عن الالوان والخطوط .

ويلخص تحديد هذا الركن الاساسي بان للفنان كل الحق في ان يصور مادة الجمال كما تبدو له وكما تنطبع في مشاعره دون ان يقيده العقل او يحصره المنطق . فالعقل في رأي الانطباعيين لا يجب ان يتخذ اساساً للوعي الفني ، وانما هي المشاعر والعواطف التي يجب ان تقرر نسبة الجمال في التكوين . لذلك خرجت لوحاتهم وكلها ملأى بالارداف العارية والمشاهد المغرية ، والعيون الجذابة ، تسيل فيها زيوت الشهوات المتنوعة . وكانت هذه البدائع الفنية الشاذة نتيجة حتمية لازمة للجهود التي كان يبذلها المصورون الانطباعيون ، وقد عرفنا ان الوان الجمال في مذهبهم انما ترتكز في حقيقتها على الحس والشعور . وهل كان في ميسورهم ان يفعلوا غير ذلك وهم الذين يدينون بالحس والمشاعر ويخضعون لها ، دون ضابط المنطق ؟

لا عجب والحالة هذه اذا ما ظهرت معروضاتهم الفنية وهي تهمل الناحية الروحية في الجمال ، الا من ناحية واحدة ، هي الناحية التي تستثير الغرائز من اعماقها .

اذن ، فالركن الاول في المذهب الانطباعي هي الفكرة الفنية التي تتناول في مدلولها ، الجمال الحسي والمتعة به ، كأن ليس هناك صبابة روحية في الجمال تستهوينا ، فنقف امام قدسها ومنارة روعتها ، كبلي الايدي طليقي الارواح !.



اما الركن الثاني فهو يتناول الخطوط والتصاميم ، ويندمج والفكرة الفنية اندماجاً لا يقبل التجزؤ الا من الوجهة النظرية ، ذلك ان الخطوط والتصاميم انما هي الفكرة الفنية المعبر عنها بالهياكل المجوفة . وما يقال عن الفكرة الفنية يقال ايضاً في الخطوط والتصاميم . ونأخذ مثلا على ذلك الفنان « رنوار » فقد كان هذا المصور ولعاً جداً بالصدور النافرة ، وبالارداف الثقيلة حتى انه لم يختر معشوقاته الا طبقاً لذوقه الخاص هذا . ولذلك نرى ان الكثير من لوحاته العارية قد فقدت انسجام التكوين والسكب بما كان يحرفه ويطويه ويكوزه من الخطوط في الصدور والارداف . فالجمال كما كان يفهمه « رنوار » ويصوره على طريقته كان جمالا متأثراً بانطباعاته الجنسية .

بقي الركن الثالث وهو الالوان او التلاوين ، وفي هذا ما يبدو خطل المدرسة الانطباعية في اجلى مظاهره . فانصار هذه المدرسة

يقولون ان اللون امر يرجع فيه الى الذوق الخاص ، وقد عبروا عنه في اصطلاحهم بالذوق الذاتي ، اي عدم التقيد بشرائع النور والانعكاسات والاخيلة وتأثيرها على ابراز الالوان ، فخرجت صورهم صارخة مدللة بالوانها ، او باهتة ناشفة ، او قاتمة دكناء . فبينا نرى لوحاتهم تعكس وجوه الحسان المشرقة ويتفجر الاحساس ينابيع من عيونهن ، اذا بنا نكاد لا نصل في تصفحنا الى ما دون الصدر حتى ندرك النقص المنطقي . فالوجه بحدقتيه يمثل الحرارة الجنسية بالوانها الصارخة ، في حين ان النهدين يتوسدان الصدر كأنهما في ذهول عميق عما ترسله العينان من شرر جنسي . فكأن هذا الوجه لا يمت بقرابة الى الصدر والثديين .

ولقد قصرنا البحث في تحليلنا للمذهب الانطباعي على المرأة فقط ، رغم ان ثمة كثيراً من اللوحات التي تمثل الاحراج والاودية والانهار وغيرها . ذلك ان الانطباعيين استمدوا نظريتهم لا من جسم المرأة فحسب بل من الاحساسات الجنسية التي يبعثها عري المرأة في مخيلة الرجل ، ومتى كان الرجل فناناً فالعياذ بالله ! . .

وهنالك حقيقة اخرى وهي ان النساء الفنانات اللائي اعتنقن المذهب الانطباعي قليلات جداً ، فلم تستطع الا واحدة منهن ان تجعل لاسمها شأناً يذكر واظنها مدام « لافروف » المعروفة بالنمساوية .

اما من بقين فلم يفلحن في مجهودهن الانطباعي وذلك ما يؤيد نظرية « فرويد » القائلة بان المرأة لا يمكنها ان تتخيل اللذة ، لان العرف والعادة جعلاها مقيدة برغبة الرجل التي يفرضها عليها ، فهي ابداً عبدة حاجته وان تكن حرة طليقة في خيالها .

ولهذا يقول « فرويد » ان المرأة تتفهم الجمال الروحي اكثر من الرجل ، وقد جاءت المدرسة السيزانية مؤيدة لرأيه ، اذ ان النساء اللواتي نبغن في ظل هذه المدرسة يفوق عددهن عدد جميع الفنانات اللائي عرفهن التاريخ حتى الحرب الحاضرة .

المدرسة السيزانية : اما المدرسة « السيزانية » فترتكز على اظهار الجمال كما تتفهمه الروح . ولعلنا لا نغالي اذا قلنا ان المذهب الانطباعي هو الاصل الذي تفرعت عنه وتشعبت المذاهب الحديثة في التصوير من حيث الطريقة والاسلوب .

ان المحاولات الفنية التي قام بها الفنان الافرنسي بول سيزان حوالي سنة ١٨٨٠ وبعدها كانت مخالفة في فكرتها الفنية وغرضها التصويري للنظريات الانطباعية التي كانت تسود الاندية الفنية الاوروبية في ذلك الوقت فاستقبحت الاوساط الفنية شذوذه وخروجه عن المألوف ، وعدته مناقضاً لروح الفن . فاضطر اخيراً ان يترك « مونمارتر » ويلجأ الى قرية « ايكس ان بروفنس » مسقط رأسه حيث اقام مدة طويلة ولم تزل حياته هناك مجهولة غامضة حتى الان .

وفي ليلة رأس السنة ١٩٠٠ — وكان ذلك قبل موته بست سنوات — ظهر بول سيزان فجأة في الاوساط الفنية الباريزية . فقد قدم يومذاك الى باريز ليعرض في متحفها الفني ما انتجه دماغه وقلبه من الروائع الفنية الحية طيلة انزوائه في قريته .

وهذه الروائع الفنية الخالدة المعلقة على جدران « اللوفر » والتي اخرجها سيزان في « ايكس ان بروفنس » القرية الهادئة الوديعة انما هي القبس الذي ينير سبل الفنانين اليوم في العالم باسره ، بل شمس النهضة الفنية المعاصرة . قال سيزان « انه يريد ان يخرج من اوضاع المدرسة الانطباعية فناً صارخا قويا خالداً يليق بالمتاحف » . وقد وفق بما بذله من الجهود الى تحقيق امنيته هذه .



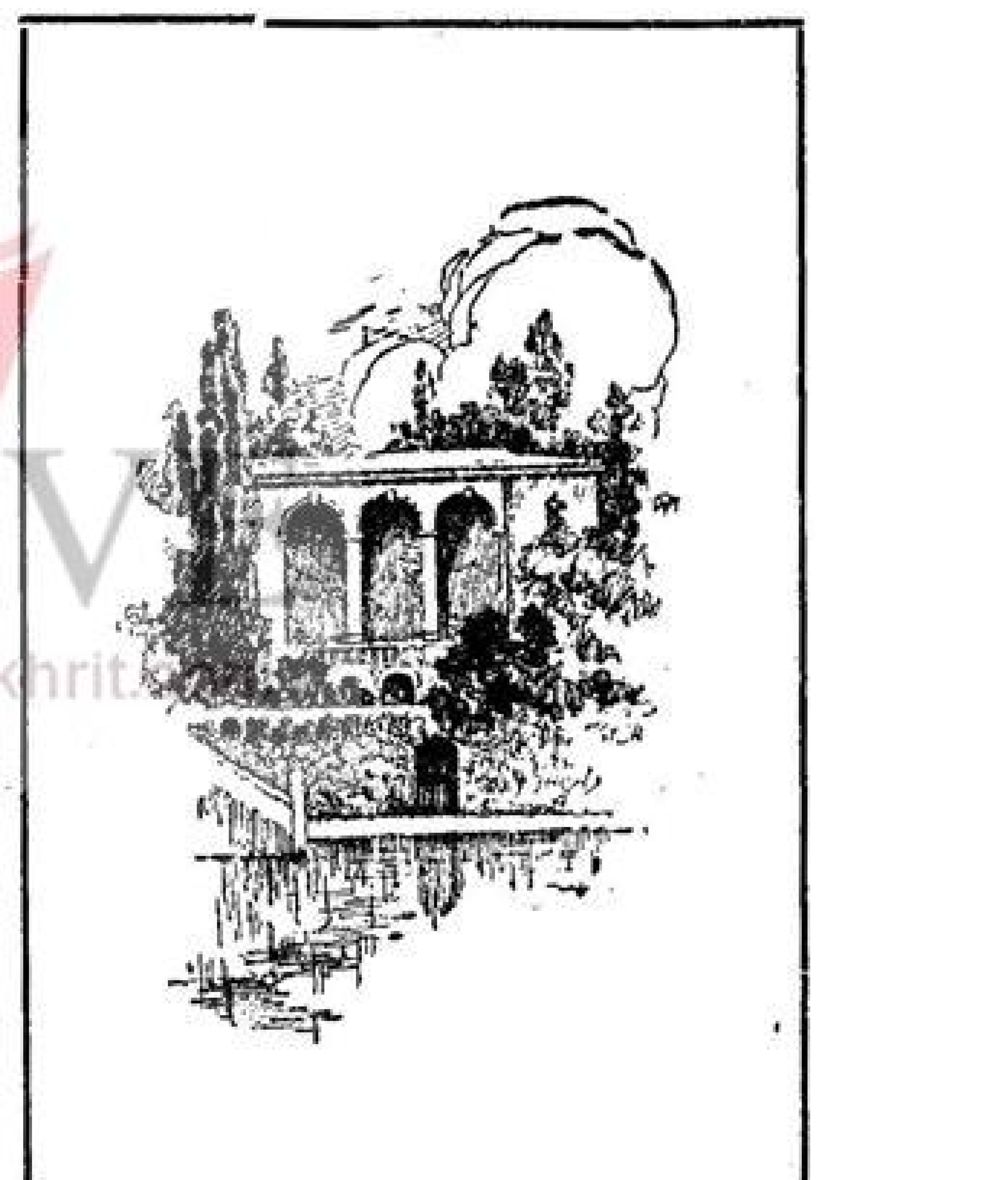
فالمدرسة السيزانية ترتكز قواعدها على العقل والمنطق اكثر منها على العاطفة او الذوق الشخصي . فهي تقول وتعلم ان ليس ثمة بشاعة مطلقة ولا جمال مطلق وكل ما في الامر ان هناك مظهراً من مظاهر الكمال النسبي او عدمه . فالكمال النسبي من حيث الفكرة انما هو الفكرة الجميلة ، والكمال النسبي من حيث السكب والمقارنة انما هو التكوين الجميل ، والكمال النسبي من حيث الوقع والتأثير انما هو الصوت الجميل . اما العكس فالبشاعة بذاتها .

فالجمال ، على رأيه ، ليس التناسب في التكوين والبناء فقط ، اذ لو صح ذلك لكان التشويه العام الشامل لكل الاعضاء ، ضرباً من ضروب الجمال ، ولكان عدم التناسب في الهياكل بشاعة ، وهذا مناقض للمنطق ، فانه في الحالة التي يكون فيها عدم التناسب مفقوداً — اذا صح ان هنالك « عدم تناسب » يعد عدم التناسب هذا نوعا جديداً للتناسب المطلوب . فالجمال اذاً انما يرتكز على شيء فرضي ، فقد حتمت فلسفة الجمال وجوده في باطن النفس البشرية ، وهذا ما نعبر عنه « بالطموح الى الكمال » والكمال والجمال هذان انما هما مترادفان لمعنى واحد يتضمنه كلاهما .

ولما كان الكمال نسبياً من حيث تقريره فان الجمال نسبي ايضاً ، على ان ثمة قاعدة واحدة نستطيع بواسطتها ان نقرر مواطن الجمال ونعينه وهي « قيام الاعضاء بوظائفها الفيسيولوجية » .

فالعضو الجميل جميل لانه كامل في تكوينه ، والكامل في تكوينه من الاعضاء هو القائم بوظيفته الطبيعية منها . فالانف في وجه الزنجي جميل كما انه جميل في وجه الفيل وان اختلفا في النسبة والشكل ، ما دام كل منها يوءدي وظيفة التنفس ويفيها حقها . قد لا يكون الزنجي او الفيل جميلا في نظرك ، ولكن رأيك شخصي ومحدود يتناول دائرتك الصغيرة فقط ولن يتعداها الى الفن، على ان الانثى من الزنوج ترى زنجيها جميلا وكذا الفيلة .

وقد تكون الساق المنسجمة البضة جميلة من حيث ملمسها وسبك بضاضتها ، اذا كان الانسجام والبضاضة يقومان بوظيفتها الفيسيولوجية والبسيكولوجية، ويستثيران في الذكر كوامن الاحساس الجنسي لبقاء النسل واضطراد التنوع في مظاهر الحياة . وهل الجمال الا في طليعة هذه المظاهر ؟



على ان البضاضة والانسجام وحدهما لا يقرران الكمال في الساق ، اذ قد تعوق البضاضة الساق في التوائها ، وقد تثقل عليها حركتهـا الطبيعية اثناء السير او العدو او الرقص . فاذا ماازدوج العصب والعضل ،ودقة العظم وجودة حبكه ، والبضاضة والانسجام في الساق ، تعين مأخذ النقص فيها ، او موطن الكمال .

وبكلمة موجزة ، ان الناحية الواحدة او الجزء الواحد ، مهايكن جميلا بذاته من حيث تأدية وظيفته، يظل غير كامل من حيث اغراضه الاخرى ، ولهذا فهو غير جميل . لان الجمال وحدة لاتتجزأ ، ولاتتماثل الوانها في الكائنات الحية وغير الحية ، لا باطناً ولا ظاهراً .

وكل جمال لا تطوف به هالة مشعة من الفكرة التي تفهمنا مضمونه ليس بجمال ، وانما هو لون من الوان الجاذب الجنسي الذي لايلبث ان يزول بزوال سببه .

فالقيام بالوظائف الفيسيولوجية والبسيكولوجية مع اعتبار البيئة الطبيعية ، والوسط الاجتماعي وما يحدثانه من التطور في تأدية هذه الوظائف تقرر جميعها الجمال .

والجمال على رأي سيزان نوعان : المادي وهو الذي عالجناه في هذا الدرس ، والروحي وهو الذي سنستطرد الكلام عنه . وما قيل في الاول يقال في الثاني ، فالقماشة التي يحاول الفنان ان يحبك عليها بخطوطه والوانه صورة خيالية « روحية » تعبر عن الطهارة العذرية والعفاف لا تكون كاملة (اي جميلة) الا اذا قامت الفتاة العذراء المصورة على القماشة بوظيفتها ، ونعني بذلك ابراز العفة لا الحشمة والطهارة، ولا تصنعها، مع عدم اغفال ما يحيط بها من المظاهر وما يكتنفها من الاجواء . فاذا ما وفق هذا الفنان الى ان ينسينا الصدر والردف ونحن نتصفح عرى عذرائه ـ اي انه اذا تمكن من تغليب المتعة العلوية التي نتمثلها في اعماق سريرتنا ، فاستمرت الغريزة الجنسية في اعصابنا وارتفعنا الى مستوى من الخيال والغيبوبة تغشي باصرتنا فتنسينا المادة ، وامسينا سكارى امام صورة عذرائه هذه لا نرى في عريها سوى الطهر والعفة ـ يكون هذا الفنان قد وفق الى ابراز فكرته وفاز بغرضه الفني . لقد كان غرضه الفني اظهار ناحية من نواحي الجمال الروحي ،وهي الطاهرة العذرية في شخصية المرأة الروحية ، فاستخدم جسد المرأة العاري كواسطة فقط لاظهار غرضه، وانسانا ان الفتاة العذراء « شخص تناسلي » ورجع بنا الى الاثر العميق الذي خلدته « العذراء » في ادمغة الفنانين والادباء الموهوبين .

هذا ما نقوله في المدرسة السيزانيـة من حيث اغراضهـا الفنية ، وفكرتها التصويرية . اما من حيث تحقيق هذه الفكرة واخراجها على الالواح ، فالطريقة لديهم واحدة ، وهي ترتكز على الواقع ، وتتناول الخطوط والتصاميم ، وتحرم على الفنانين تصميم صورهم وتخطيطها دون ان يستقوا خطوطهم وتصاميمهم هذه من انموذج Modèle واقعي ينصبونه امامهم ويتخذون من مجموعه خطوطاً وتصاميم تتفق والغرض الفني الذي يحاولون تحقيقه على الالواح .

فالشجرة المراة المنتصبة فوق الثلوج لا تصلح انموذجاً يتخذه الفنان لتصميم هيكل شجرة اذا كانت غايته من تصويرها تخليد نضارة الربيع، حتى ولو استطاع ان يكسو اطرافها العارية حلة سندسية خضراء ، لان البيئة ـ وهي الشتاء ـ قد اثرت في سلسلة تفكيره المنطقية . فانه مهما حاول التجرد عما يحيط بالشجرة من الثلوج، فهو غير قادر على تجاهل الصقيع الماثل مع الشجرة امامه او الغيوم المكفهرة التي تغمرها بل عن منع الالوان من ان تتجمد بين اصابعه . فالواقع بكل ما في الكلمة من معنى ومدلول يجب ان يكون الاساس لكل محاولة فنية . وبعد ، فالفنان حر مطلق الاجنحة ، مطلق الارادة ان يقترح بريشته على الطبيعة ما يراه مفقوداً في الكون من روائع الجمال ومناحي الكمال .

فالفن على رأي سيزان ليس ألهية حقيرة للتسلية، تتلاعب بها الاهواء والامزجة ، وانما هو دراسة منطقية لها غرضها الاسمى ، وهو اظهار ما في الوجود من الروعة والجمال، وافهامه لمن يحس او يعقل من البشر، باسلوب كامل فيه جدة وطرافة وابتداع، لكن فيه ايضاً عبق من مخلفات الماضي .

رأفت

جامعة كمبردج في عام ١٩٤١

« لا تزال الدراسة العالية في البلدان الديمقراطية مستمرة ، رغم ازمة الحرب التي ساخت كثيرا من الطلاب والاساتذة عن حضن الحياة العلمية المطمئنة المنتجة . ومن الطبيعي ان يتشوق قراء « الاديب » الى احاديث طريفة عن تلك الحياة ، كهذا المقال الذي كتبه شاهد عيان عن جامعة كمبردج الانكليزية ، على رجاء ان يتبعه ما يتصل بنا من وصف للحياة المدرسية العالية في غيرها من الجامعات . »



ارسلت الشمس خيوطها الناعمة على تلك البقعة العجيبة التي هي حاضرة كمبردج ، فيا للتلاعب والسحر في الوان الاشجار والازهار في حدائقها وعلى جدرانها ! ثم ما لبثت المدينة ان استفاقت فضجت وامتلأت وعاد الطلاب من الحقول واثر الشمس في وجوههم ، فهم آتون لتلقي الدروس بعد ان قاموا في الحقول بما تنتفع به سواعدهم الفتية . ان ستين في المائة من هؤلاء الطلاب في صفوف الجيش ولولا عدد كبير من المدارس اللندنية التي ألحقت بكمبردج لظل كثير من مقاعدها خالياً .

والذي يعجب له من لم يعرف في عهد تلمذته غير « الحي اللاتيني » هو اهتمام المديرين هنا بتوفير راحة الطالب الجسدية والمعنوية ، ثم على هامش الدروس ، ذلك النشاط الغريب في حياة الجامعة .

ولا ينقص شيء من شروط السكن والطعام واللهو ، فلا داعي لان يهتم لها الطالب مطلقاً ، وهذا يكفل له جوا صالحاً للدرس .

واني اذكر الذين يجهلون كيفية التدريس في انكلترا بأنه يجب على من اراد ان يتبع دروس الجامعة ان يكون قد تخرج من مدرسة فتطلب منه قبل ان يدخلها امتحان القبول .

ويشرف على حياة الجامعة ما هو شبيه بالمجلس الاعلى ، تحت سلطة محافظ ، ويتولى نائب المحافظ الادارة العملية .

وبعد ان يختار الطالب مواده لا يقتصر على تلقي الدروس عن اقدر الاساتذة ، بل يجد في المدرسة اناساً يسدونه النصائح ويرشدونه في دراسته وينعم بمكتبة يمكنه ان يقلب كتبها ، وله من وسائل الراحة المتوفرة في غرفته مساعد كبير على الدرس . فهو في مثل هذا الاستقلال التام يعمل كما شاء بعيدا عن كل ما قد يعوقه في مهمته .

وفي التدريس توزع العنايات حسب الاختصاص . فالذين يتوجهون شطر العلوم تكون العناية بهم من الناحية العملية ، فتتكرر الاختبارات والارشادات على يد احسن المختبرين الذين يدربون تلامذتهم على كيفية استعمال احدث الالات وادقها .

سألت معاون المحافظ المستر « بنيانس » عن تأثير حالة الحرب على الدروس فاجاب : « لقد اتخذنا التدابير اللازمة كي لا تتوقف الدروس في بحر السنة . واذا كان يجب ثلاث سنوات للحصول على رتبة دراسية فقد مهدنا السبيل الى الفحوص للذين يدعوهم واجب الجندية بمدة سنتين . ثم ان الاساتذة والمولجين بالمحاضرات لا ينقلون من مناصبهم اذا كانوا قد تجاوزوا سن الثلاثين .

وفي الجيش يلحق ابناء الدور العلمية بوظائف تتناسب ومعارفهم . فان قلم الاستخبارات والجاسوسية تلائم من كانت دراسته ادبية ، ويلحق ذوو الدراسة العلمية بالدوائر الفنية .

ذهبت بعد ذلك الى مدير الدروس الفرنسية في « ترينتي كولج » « هوغ فرازر ستوارت » وسألته عما آلت اليه الدروس الفرنسية في هذه الاوقات الصعبة ، فاجابني :

هنالك هم واحد هو ازمة الكتب . فقد اضطررنا الى تنظيم قسم من برامجنا حسب الكتب المتوفرة لدينا ، واستعضنا عن النثر الصغير بسيرانو دي برجراك وعن رينان بقصص بورجيه او فوغويه الفلسفية .

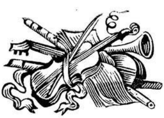
وقد افل في هذا الخريف نجم من سماء كمبردج هو العلامة تومسون الذي مات في الثلاثين من آب ، فانه احد الذين وضعوا النظريات الحديثة في تكوين الذرة وهو المعروف بابي الالكترون ، وان خلفه هو ج . م . تريفليان استاذ التاريخ الحديث ، حفيد المؤرخ الشهير ماكولي ، وان مؤلفاته عن القرن الثامن عشر وكتابه في سيرة غاريبالدي غنية عن التعريف .

ولاول مرة في تاريخ اوكسفورد وكمبردج تعين امرأة استاذة في الجامعة ، وهذه السيدة هي مس غارود التي اشتهرت باعمالها التنقيبية في فلسطين وسوريا . فقد اسند اليها في الجامعة منبر الاركيولوجيا او علم الاثار والانتروبولوجيا او علم الانسان . واننا بهذه المناسبة نتمنى للنساء المجيدات اللواتي عهد اليهن اعطاء الدروس او القاء المحاضرات ان يحصل كثير منهن على مثل هذا المنصب الرفيع .



ولا اختم كلمتي عن كمبردج قبل ان اذكر شيئاً عن الحفاوة التي لقيتها في نيونهام ، وقد قدم لي احسن ما كان يلزمني لاشغالي ، واني اقدر قيمة ذلك الاتصال الذي طالما حصل لي بشبيبة انكلترا الناهضة والمجتهدة ، وبالذين يسهرون على تعزيز شأنها .

اجل ان في كمبردج احسن اسباب التفاؤل لمستقبل افضل يكون فيه للعقل اهميته ووزنه .



اصل الموسيقى العربية

من آثار الموسيقار النابغة المرحوم اسكندر شلفون

ليس في صحائف التاريخ العربي اخبار يمكن الاعتماد عليها في هذا الموضوع . ففي زمن الجاهلية كانت الامية في العرب بالغة النهاية . وكانت القراءة حتى في صدر الاسلام خاصة بطبقة من الناس جلهم من حفظة القرآن . وقد ظل كثير من الشعراء لا يقرأون .

فالفرزدق، رغم ماكان له من الشهرة والتقدم، كان امياً . وليس في تواريخ الامم ما هو اشد غموضاً من تاريخ العرب قبل الاسلام ، لا سيما ما كان منه خاصاً باخبار الموسيقى . وعند ظهور الاسلام لم يكن في العرب مؤرخون لتدوين الاخبار ، وكل ما كان لديهم من الوسائل في هذا الباب هو النقل عن ألسنة الرواة . على ان اكثر هؤلاء الرواة ذهبوا شهداء في الجهاد عند ظهور الاسلام واشتغال العرب بالحروب والفتح . فلما انتهت الحروب وعادوا الى تدوين التاريخ لم يجدوا من رواتهم الا النادر ومن الاخبار الا التافه . يؤيد ذلك تاريخ بعض الشعراء . فبينا نقرأ عن شاعر من شعرائهم الفحول وعن شهرة له تطبق الآفاق ، لا نجد له في باب الشعر قدراً كافياً يؤيد تلك الشهرة . فطرفة بن العبد وعبيد بن الابرص مع ما لهما من الشهرة الكبيرة في مملكة القريض لا نجد لهما في صحائف تلك المملكة الا اثراً قليلا . على ان حبي الموسيقى ورغبتي في كشف اسرارها وتعريف اصولها ، ولو من ناحية الترجيح ، كل ذلك هيأ لي اسباب اقتحام الموضوع .

ولأؤيد ما كان يحيط بتاريخ الموسيقى العربية من الغموض في عصر الجاهلية اسرد هنا بعض المزاعم التي وردت في بعض كتب التاريخ مما لا يجوز الاخذ به عندما يكون الغرض استخراج حقائق تاريخية .

يقول المسعودي صاحب مروج الذهب : سأل الخليفة المعتمد يوماً الشاعر عبيد الله بن خرداذبه عن اصل الموسيقى فقال :

« قد قيل في ذلك يا امير المؤمنين اقاويل كثيرة . ان اول من استعمل العود هو لامك بن متوشالح بن محويل . . وكان للامك ولد يحبه حبا شديداً ، فاختطفته يد الموت ، فعلق جثته بشجرة ، فتقطعت اوصاله ولم يبق الا الفخذ والساق والقدم والاصابع ، فاخذ لامك قطعة من الخشب هذبها وصقلها وصنع منها عوداً ، جاعلا صدره بشكل الفخذ وعنقه بشكل الساق ورأسه بشكل القدم وملاويه بشكل الاصابع . وقد مثل العروق بالاوتار ، ثم عزف عليه وانشد نشيداً محزناً على صوته الخ » .

ويقول عبد القادر بن غيبي : « لما خلق الله آدم امر الروح ان تدخل الى الجسد ، فبدأ نبض آدم بتأدية وظيفته . ولما كان الخالق قد منح آدم موهبة الصوت ولما كان لنبضه ايضاً حركة متساوية منتظمة فقد اجتمع في الموسيقى والميزان واتيح له حينئذ ان يسبح الخالق باجمل الاناشيد » .

وهناك طائفة كبيرة من المؤلفين وعلماء الدين يقولون ان الله في البدء ، خالق الوجود ، ثم خلق الارواح لاجساد البشر ، ثم امر الكواكب السبع والاجرام بالمسير فسارت ، وسمعت جميع الارواح عند ذلك انغاماً شجية احدثتها الكواكب بحركتها المنتظمة . فانقسمت الارواح الى ثلاث جماعات : الاولى امتازت بحاسة اللذة الموسيقية العظمى ، والثانية كانت اقل من الاولى شعوراً باللذة ، والثالثة وهي الاقلية كانت فاقدة لتلك الحاسة . ومن هنا جاء الشعور العام باللذة الموسيقية . اما الذين تجردوا من تلك الحاسة ، فينظر اليهم كما ينظر الى مخلوقات ناقصة ذات عاهة .

وقد جاء في بعض الكتب ان الله هو الذي اخترع الموسيقى ، ثم تراءى له ان يعلمها للملائكة ليسبحوه ، فتفوق بعضهم فيها ومنهم الملاك حارث الذي دبر فيما بعد مؤامرة العصيان وثار على الخالق العظيم . فلما طرد الخالق تلك الارواح الشريرة والقى بها الى هاوية الظلمات ، نسي انه اطلعها على اسرار الموسيقى . اما هي فاخذت تستفيد من الموسيقى في غواية الناس ، فصمم الخالق على ان يجرد تلك الابالسة من الذاكرة ، ولكنها سبقت فعلمت الناس تلك الموسيقى الالهية الخ .

تلك هي خلاصة بعض ما ورد في كتب التاريخ عن اصل

الموسيقى العربية وجميعه عرضة للمآخذ والطعن .

بعد ذلك اتفقت جميع المصادر على ان الحداء عند العرب سبق كل غناء . فيقال في ذلك ان مضر بن نزار بن معد كان في سفر ، فسقط عن البعير وانكسرت يده ، فحملوه على ظهر جمل واستأنفوا المسير ، فجعل يصيح من الالم قائلا : « يا يداه يا يداه » وكان من احسن الناس صوتا . فطربت الابل وجدت في سيرها . فوضعت العرب في ذلك شعراً سموه الرجز وجعلوه للحداء وهو كما يأتي :

يا هاديا يا هاديا   ويا يداه يا يداه

اما نحن فنظن ان هذا الخبر من نوع الاخبار التي دونت من اصل الموسيقى . والامر الذي لا شك فيه هو ان الموسيقى سجية من السجايا ، والميزان غريزة من الغرائز .

الشعر والغناء نشأآ معاً عند جميع الامم ، ويقول اليونان والرومان حتى اليوم : « غنى شعراً » والعرب يقولون منذ القدم : « انشد شعراً » . اي غنى شعراً . وكان اليونان مدة اجيال طويلة لا يقولون الشعر الا انشاداً . والمرجح ان العرب كانوا كذلك والادلة كثيرة . فالاعشى قبيل الاسلام كان ينظم الشعر ويغنيه . وقد سئل مرة يونس النحوي : من اشعر الناس قال : امرؤ القيس اذا غضب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب . والاعشى اذا طرب .

ومن الامور المحققة ان العرب اقوى الامم شاعرية . فالعربي شديد الاحساس سريع الطرب سريع الغضب ، طبع على الاريحية والانفة وفطر على البديهة والارتجال ، ومن كانت هذه صفاته نطق بالشعر بلا تعب وارسل اللحن بلا عناء .

والمرجح لدينا ان الموسيقى العربية لم تكن قبل الاسلام ملكاً للحداة فقط بل لجميع الناس . ولو كنت انا مكان المسعودي او سواه ممن ذكرنا ، وكان لا بد لي من ان ابحث في الموسيقى واقول كلمتي في اصلها ولم اكن ادري عن ذلك الاصل شيئاً ، لتوخيت باب الاستنتاج ووجوه المعقول ، بدلا من ان استنبط اسطورة كاسطورة لامك بن متوشالح او ان اخترع حكاية الخالق وابليس وامثال ذلك من الروايات التي ليس لها كرامة تاريخية . بدلا من جميع ذلك اقول ان غناء الام لطفلها سبق كل غناء . اذن فعاطفة المحبة هي مصدر الموسيقى . وهذا من حيث تقرير المصدر اذا عجزنا عن ان نهتدي الى مصدر .

اما التاريخ الحقيقي فغامض مبهم . ففي القرن الثاني للهجرة الف الخليل بن احمد الفراهيدي كتاباً في الموازين الموسيقية وكتاباً في النغمات ، لكنه لم يذكر شيئا عن تاريخ الموسيقى واصلها . وفي القرن الثالث وضع ابن العوراء مجموعة للاغاني ، ووضع اسحق بن ابراهيم الموصلي كتاباً في الاصوات والموازين بالارقام التي تفسرها ، وكتاباً في مغنيات وراقصات الحجاز ، وكتاباً اسمه الكتاب الكبير للاغاني . ثم يعقوب بن اسحق الكندي وله ستة مؤلفات في التلحين وترتيب الابعاد الصوتية والعناصر الموسيقية والميزان الموسيقي والآلات الموسيقية واتحاد الموسيقى والشعر . ثم احمد بن محمد بن مروان الصرخدي وله ثلاثة مؤلفات في الموسيقى : الكتاب الكبير والكتاب الصغير والدخول الى علم الموسيقى . ثم موسى بن شاكر وثابت بن قره ويحي بن علي بن يحي المسجم وعبيد الله بن عبدالله بن ظاهر المعروف بابن احمد وقسطا بن لوقا . ثم في القرن الرابع للهجرة : ابو الفرج ابن الحسين الاصبهاني مؤلف كتاب الاغاني المشهور ومحمد بن زكريا الرازي وابو النصر محمد ابن طرخان الفارابي . وغير هؤلاء كثيرون في القرون التالية الفوا في الموسيقى وجميع فروعها وبحثوا في علومها ، ولكن لم يحدثنا واحد منهم اقل الحديث عن اصل الموسيقى . على انني لم اترك لليأس سبيلا الى فكري ولم اتردد برهة في ان اقتحم الموضوع معتمداً على الاخبار والحوادث والتطورات الاجتماعية مما يحدثنا عن الفكرة العربية من حيث الكماليات وحاجة العواطف ويمثل لنا نفسية ذلك العربي امام المؤثرات وغير ذلك مما ذكر عرضاً في شعر العرب عن سائر احوالهم سواء في السلم ام في الغزوات ام في الحروب ام في الحب . فاقول :

الشعر في الامم اكبر دليل على الشعور والفكر والعواطف . وعلى نسبة رقي الشعر او انحطاطه تكون نسبة رقي الشعور والفكر والعواطف وانحطاطها . فالعرب امة قديمة وربما كانت قديمة جداً ، لكن لا اثر لهم في التاريخ الا منذ القرن السابع والعشرين قبل المسيح .

« للبحث صلة »



نقوط !

بقلم ميشال طراد



لو فيي ، لغمرلك ، لو فيي
الدني بفرد غمرا
وفرفطها غنّي غنّي
عجربكي يا سمرا
بكدسلك من الورد قفورا ،
شي فتح ، وشي زرار ،
من جهاز الصيف تنورا ،
مبارم من نوار .
بخلي الكنار الجار شباكي ،
يغزلك شريطا ،
شو لون خيطان ، شو حياكي ،
من الفجر مشموطا .
بوعّي الزنابق عانغم رعيان ،
يرقصو بعيدك ،
يقيمو التلال ، يقيمدو نيسان ،
ويغفو على زنودك .
بفرّع الآس ، بخدّر النسمي ،
وبدرّي من جسمك .
عراس ، وليالي ، وسوسحة نجمي ،
وبسكرهن باسمك .
بنده لنجمة صبح مشلوحا ،
من طاقة الجني ،
تنصبلك من النور مرجوحا ،
طيري فيا وغنّي .
والقمر هادا الخلف صنّين ،
متشاوف بحالو ،
بدآو عليكي ، بسألو تخمين ،
عمتطلعي ببالو ؟!

ميشال طراد

صراع




قصة : بقلم رضوان الشهال

لم يكن خطار شبلي وحده سيد الشباب في الضيعة . لان الضيعة كان لها ابن اخر كخطار، قرم عنيد، ذو عنفوان يختال على شنب ابي شامخ وساعد ترفع رحى الطاحون، وفراعة تفل جذع السنديان، ومسدس يدرك الهدف ولما تلمحه العين .

ولقد كان مثله موضع الفخر يوم تقوم للفخر سوق . فاذا ما هتف في ادنى الضيعة هاتف بحياة خطار شبلي رد عليه من اقصاها هاتف بحياة قاسم العياد .

كذلك كان الصراع الطويل العنيف مستمراً بين ادنى الضيعة واقصاها حيث دارت في الزمن القديم رحى حرب شعواء ضروس كحرب البسوس، اقدم عهدا من سنديان تلك الارض. حرب كان ابطالها اجداداً لقاسم واجداداً لخطار، فانصاراً لاولئك وهؤلاء. فامامر الزمان وطوى الاجداد، مر ولم يطو ذكراهم . بل ظلت الضغينة حية غنية بالحياة تنفذ في السنين والايام جيلا بعد جيل . وراحت على مر الزمن تتخذ لنفسها شكلا اخر غير الحرب الهائلة المخضبة بالنجيع واللهب .

جل ما كان من امر هذه الضغينة انها كانت تتجلى في احساس بالجبروت والعنفوان . احساس صامت جموح ينفث دخان النخوة احياناً في حلقات الفتوة ويتجسد في عصب كالفولاذ وعضل ياتي بالخوارق، كأن ترتفع رحى الطاحون في فضاء الضيعة او تخر السنديانة تحت بطش الساعد المجنون . فثور نمرود يصرع ارضاً ودبوس يغيبه

الرصاص في جذع شجرة ثم بصر فخور يجول في وجوه الحاضرين يسال: من سيد الشباب ؟

ولربما خرج الاحساس الصامت عن صمته احياناً ليندلع على لسان هجاء نهاش كالسنة الافاعي او من حنجرة خشنة تتغنى بملاحم الاولين تغنية يخشع لها الليل وتنتشر لها اشباح الابطال الغوابر فوق الربى والسهول .

لكن الامر لم يكن ليخلو من ظروف نوادر تطفح فيها النفوس ويتقد جمر الاحداق فتطيش العصي وتشهر الخناجر وينطق المسدس بافصح ما يجيد من الكلام .

صراع كان لا بد منه في ذلك الاقليم القاسي العنيف حيث الحياة لا تحس وجودها الا في التحام الصراع الدائم . . . صراع بين الفلاح والارض، بين الحطاب والذئب، بين الوحش والطير، بين الطير والزوبعة، بين الزوبعة والغاب .

لذلك طالما فشل المصلحون .

* * *

كان لقاسم ثأر على خطار قديم يحمل ذكراه على جبينه ويلمح اثاره كلما راح يسرح بصره في عنفوان شنبه امام المرآة، جرح مندمل ينحدر ملتوياً من منبت الشعر حتى يشق اطراف الحاجب الايسر، خاطاً على عزة الجبين الابي ذكرى هزيمة شنعاء .

حدث ذلك في يوم بعيد، جد بعيد من ايام اليفاع الاولى، اذ زحف الفتى خطار على رأس عصبة من صبيان الحي مدججة بكل سمهري من القضبان، فاجتاز بهم احياء الضيعة حتى تخوم حارة العياد . فما ان احس قاسم بالامر حتى طرح الصوت فاجتمعت له من عصبته شرذمة وشنها على الغرماء حملة منكرة تعلع فيها صفير القضبان وزعيق الغيظ كاشد ما يكون .

واستبسل يومئذ قاسم واستمات خطار وبحث احدهما عن الآخر وسط الزحام فالتقيا وتساجلا ضرباً عنيفاً موجعا حتى حانت لقاسم من

خطار فرصة فباغته بضربة من عصاه كادت تكون ختام المعركة لولا ان تلقاها خطار بقضيب فانكسر وعندئذ اندفع على خصمه اندفاع الاعزل المستميت . واستطاع بعد جهد ان يصرعه ارضا ويسجل ظفره بحجر فجر الدم من جبين قاسم .

حادث صبياني جد قديم . الا ان قاسما ما كان قط ليقوى على نسيانه وفي بيته مرآة خائنة ساخرة وفي الضيعة اعين خفية اللؤم تتريث على جبينه . وبكفه اصابع تعثر بالجرح القديم كلما راحت تمسح العرق .

بل ان قاسماً كان احرص على هذه الذكرى منه على اي شيء آخر . فلطالما اشعلت في نفسه الحقد وبعثت كوامن قوته في حلقات الفتوة وعللته بلقاء مع خطار يمضي حديث الضيعة الى يوم ينفخ في الصور . وانما كانت اعز امانيه ان يسجل على جبين غريمه وصمة كالتي على جبينه .

ولقد كانت الايام بينهما كما يقولون وما كان قاسم بالذي يشك في كرم الزمان وقد جاد عليه آخر الامر باليوم الذي انتظره طيلة سنوات عشر .

فقد خرجت ريحانة ذات مساء الى العين تملأ جرتها . ولنقل لك الآن من هي ريحانة واي شأن كان لها في الامر . ولقد صدق الذي سماها كذلك فقد كانت ريحانة الضيعة العبيق بل اجمل واعذب من خطر على طريق العين من بناتها الفواتن .

اما شأنها في الامر فهو انها كانت تحمل على كفيها قلبين دون ان يكون في وسعها ان تختار احدهما او ترمي بالاخر ولعلها لم تبح بحبها لقاسم الا خوفا عليه من نقمة خطار وقد طالما ردد على مسمعها ليقتلنه يوم تقبل به حبيبا او زوجا .

في ذلك المساء كان قاسم عند العين وقدخلا له الجو فانطلق يطارح ريحانة الغرام ناثرا في مسمعها كلام الشوق والعتاب حتى قطع عليه الحديث شبح قادم على الطريق لم يكن من العسير ان يتبينه في دغش المساء .

— هوذا خطار .

قال قاسم في شيء كثير من السخرية وعدم الاهتمام فاجفلت ريحانة وتوسلت اليه ان يدعها تنصرف فردعها وفي صوته هدوء الواثق :

— دعي الجرة تمتلىء . واسوف تشهد عينك ما يسرها .

وما هي الا وهلة حتى صار خطار بصدد العين واذا هو قد وقف كمن يحمل شرا مستطيرا :

— ريحانة ؟ ما تفعلين هنا يا ريحانة ؟

فاجابه قاسم ساخرا :

— اولا تراها تملأ الجرة ؟



— اخشى ان يكون في الامر اكثر من ملء جرة .

— هو كذلك — قال قاسم باسما — الحق اننا كنا نتحدث عن عرسنا القريب .

— خسئت .

— على كل حال انت مدعو منذ الان .

— اراك تستعجل حتفك ياقاسم فوالله لاجعلن عرسك مأتما انصح ماتقول .

في تلك اللحظة امتلأت الجرة فحاولت ريحانة ان تنصرف بها وهي ترتجف كالقصبة فمنعها قاسم للمرة الثانية فانتهره خطار عندئذ قائلا :

— دعها تنصرف .

— اني احب لها ان تبقى .

— قلت لك دعها والا ..

وانتضى خطار من وسطه خنجرا لمع كالبرق في دغش ذلك المساء .

— ارم هذا الخنجر اخشى ان يعود وبالا عليك .

— بل انتض خنجرك يا جبان وكفى ثرثرة .

— بل ألقاك أعزل .

— خذها اذن .

وهجم خطار بخنجره لكن قاسما كان على حذر فما اسرع ما رفع رجله ودفعها في بطن غريمه فارتد هذا على اعقابه وقدزعزعته الصدمة ثم هوى الى الارض . فاطبق عليه قاسم مجهزا وراحت قبضتا البطلين تتنازعان الخنجر وقد بات كأنه قطعة من قبضة خطار لا تنتزع . الا ان الغيظ لم يلبث ان بلغ من قاسم حده الاقصى وغشى عينيه دخان الضيعة فاذا هو يذكر ثأره القديم ... واذا بيسراه تنقض على حجر كان هناك .. .واذا بريحانة قدراحت تصيح :

قاسم — اياك ان تفعل .. اياك !

لكن الحجر كان قد ارتفع ثم انهوى وفجر دم الهزيمة من جبين الغريم القديم .

ونهض قاسم وهو يلهث فاصلح من شانه ومضى نشوان من الظفر تاركا صاحبه يصارع الغيبوبة .

***

ضجت الضيعة للحادث ذلك المساء حتى توقع بعضهم احدى



المجازر . وقد كانت العادة ان تقفر دروب الضيعة منذ الغروب ، اما في ذلك المساء فقد غصت بالرجال المدججين بالسلاح يغدون زرافات ووحدانا بعضهم الى حارة العياد وبعضهم الى بيت خطار . ولولا ان خطاراً رأى من الجبن ان ينتقم له رجاله لوقعت الواقعة لامحالة . غير انه كان احرص ما يكون على ان ينقذ شرفه الموصوم بيمينه ... وبيمينه فحسب ، ولقد قضى اياما هائلة وليالي اشد هولا ما كان ليغمض له فيها جفن او تخمد ثورة .

ولقد جاش الحقد في صدره مرة كأعنف ما يكون . فتناول بندقيته فحشاها بالرصاص وخرج هائما في طريق عين الديب وقد هبط الليل .

ذلك ان بعضا من رجاله كانوا قد اخبروه بذهاب قاسم الى عين الديب ليتفقد املاكه هناك وانه ربما رجع ليلا فعسى ان لايفلت من يديه .

وعلى ذلك انطلق خطار يقطع الطريق سيرا حثيثا وهواجس الضغينة تعصف في خاطره ودخان الحقد يتعقد امام عينيه ويتداخل في السواد المنهمر على معالم الارض شيئا فشيئا . وما هو ان خرج من تخوم الضيعة وقد غابت وراءه اضواؤها حتى طرق مسمعه صوت بعيد كالغناء . فوقف برهة يرهف السمع ثم هز راسه ودخل في حقل على جانب الطريق تنبت على اطرافه اجمام من العليق . فاختار اقربها الى الطريق وكمن وراءها ثم « خرطش » البندقية وأستعد

واخذ الصوت البعيد يقترب شيئا فشيئا . وما هي الا وهلة حتى اندفع عاليا في وضوح وقد برز عند عطفة الطريق شبح كالعملاق واسع الخطى يضرب الحصى عن الجانبين بعصاه

— هوذا

همس خطار في نفسه . ثم رفع البندقية فركز اسفلها على كتفه وامتدت سبابته اليمنى الى الزناد . اما الشبح فما يفعل الا اقترابا كأنه غير عابىء بالموت الكامن على مقربة وصوته مايفك يردد مواله الشجي ... موالا كان ينبعث منه اسم ريحانة في غنة شجية حنون

لقد مر اخيراً امام الحقل واجمام العليق ... ثم اجتازها ... ثم اخذ يبتعد ويبتعد ... ويبتعد حتى اختفى وراء العطفة الاخرى من الطريق ساحبا وراءه اصداء مواله

اما طلق البندقية فلم يعكر صفو السكون تلك الليلة . فبعد حين كان خطار يسير ببندقيته المنكسة مطرقا متثاقل الخطى وقد

خيل اليه ان افواها في جوفه تضج غضبى وتزمجر :

— يا للعار يا للعار

ولما ولج الدار شعر كأنه هزم مرة ثانية .

* * *

كان قد مضت على هذا الحادث ايام بضعة عندما جاء غنام يوقظ خطار مرة عند الفجر وفي صوته رعشة النبأ العظيم

— ما وراءك يا غنام ؟

— او لم يأتك الخبر ؟

— اي خبر ؟

— قاسم .. قاسم العياد .

فانتبه خطار عندئذ طاردا فلول الكرى وقال :

ماذا ؟ هل خطب ريحانة

— كلا .. بل .. مات

— مات..قاسم..مات ؟ ثم هب قائما على قدميه كالمذعور :

— ويلك ماذا تقول ؟

لكأنما انبأه ان الزوبعة قد نسفت رواسخ الجبال او كأنما دكت الارض ومادت عمد السماء

لكن غنام لم يجبه بل تقدم من النافذة المغلقة ودفع مصراعيها فهبت على الغرفة مع ريح الفجر ولولة متفجعة عاتية كعويل الرياح آتية من بعيد

ولمح خطار زمراً من الناس يغدون على الطريق البعيدة الصاعدة نحو حارة العياد . فأطرق وادركه الذهول . واخذ غنام يقص عليه حادث الوفاة ويعجب لجرح بسيط في كف يبعث بصاحبها الى القبر . ويتسائل عن اسم الداء الذي ذكره الطبيب وزعم انه لا يمهل اكثر من يوم وليلة

لكن خطاراً كان غارقا في ذهوله العميق لا يسمع ولا يعي . ولقد ظل كذلك زمنا حتى استفاق على نفسه وهو بالطريق الصاعدة نحو حارة العياد وقد طوف الدنيا ضياء الشمس فراح يتلكأ في سيره كمن يستأخر ساعة عصيبة هائلة لا بد آتية وهزيم العويل يعصف في سمعه باعثاً في جسده رعشات تشل منه العصب وتنفخ في قلبه الصقيع

وكان لا بد له ان يصل اخيراً الى حيث قامت وليمة الموت وقد احاط بالبيت المفجوع جموع من الناس اخرستهم المصيبة وانتثروا هنا وهناك في الساحة وعلى جدر الحقل وكأنهم في جمودهم الصخري تماثيل الفاجعة

فاجتاز الساحة وارتقى الدرجات الثلاث ودخل وهو يتردد في الدخول .

والمرة الاولى في حياته وقف خطار شبلي امام قاسم العياد كالعبد خاضعاً ذليلا خاشعاً محطم الكبرياء . وقف شارد البصر امام خصمه الذي خذلته الحياة . يا للساعد الجبار الذي لن يرفع بعد اليوم رحى الطاحون ، ولن تخرّ تحت بطشه السنديانة ويا للشنب الأبي ، فلسوف يطوي عنفوانه التراب .

ولما تريث بصر خطار على الجبين عند اطلال الجرح القديم سرت فيه هزة وقد خنقته دمعة عاصية فاشاح بوجهه وتقدم من الام المفجوعة الثكلى وحاول ان يقول لها :

— انا ابنك الثاني يا ام قاسم .

لكنه لم يستطع فارتد على اعقابه وخرج هائما في الطريق تسربله اصداء العويل .

* * *

عند الاصيل سارت الضيعة كلها وراء ابنها الحبيب فوارته التراب ورفات اجداده ونثرت عليه كل رياحين الربيع وكل دموع مآقيها . ثم انفضت من حوله في المساء وراحت تتبعثر فلولها بين الدروب والمساكن والاحياء .

— البقية في عمرك يا خطار .

فالتفت خطار فاذا هو غنام الذي يتمنى له البقية فلم تفته مرامي ثعلب القرية ، فاشاح بوجهه في انفة الرجل النبيل دون ان يجيب ثم ولج عتبة داره واغلق على نفسه .

ويمم ساحة البيت فجلس على السدة تحت السنديانة وغاص في تأملات حزينة فاجعة .

وليل حزين فاجع اخذ يوشح معالم الضيعة بالسواد وكلاب ترسل من حارة العياد عواء مكاوماً كنعيب البوم واضواء حمر كأنها الجمر او عيون القرية قرّحها النحيب .

من رأى في حياته دمعة في مقلة خطار ؟ الا فليشهد الان كيف ينتحب اذ يغمره فيض الاسى فينهمر من عينيه جداول او يندلع من حنجرته نشيج خافت مكبوت يحاذر ان تسمعه آذان الليل .

انما هو يبكي قطعة منه دفنت منذ حين وشيئاً ثميناً من حياته التي لا تحس وجودها الا في التحام الصراع الدائم .

عبثاً يحمل بعد اليوم هذا الساعد الفولاذي الجبار وهذه القبضة الصوانية وهذا القلب الذي قدّ من جلمود . وعبثا ينادون به غداً سيد الشباب او يزفون اليه ريحانة بعد غد ..

ولما حاول في أواخر الليل ان يأوي الى فراشه لم يغمض له جفن فعاد ادراجه الى سدة السنديانة حائراً برما لا يرتاح الى شيء. فما ان طلع الفجر ووضحت زرقة السماء حتى حمل معوله والرفش ومضى الى حقوله .

وراحت الايام تمر بعد ذلك سراعاً وراحت ذكرى قاسم تتقلص من جو الضيعة شيئاً فشيئاً ماضية الى اقاليم النسيان وراحت الحياة تجري في سوق الضيعة واكواخها ودروبها وحقولها والاحياء كما كانت تجري من قبل غير امر واحد كان يطرح في الضيعة العجب . ففي السوق جماعة يتحدثون همساً عن خطار وفي الحقل فلاح يفكر في خطار ، وفي الاكواخ عجائز يتسائلن عن خطار وعلى العين صبايا يتهامسن عن خطار وعلى الطريق وفي كل مكان كان معظم الحديث يدور حول خطار .

ذلك ان خطاراً كان قد امسى رجلا غير الذي كانوا يعهدون. فلطالما رأوه يعمل في حقوله صامتاً وقد انهال على الارض يمزقها بمعوله كأنه ينتقم من عدو خفي . ولطالما رأوه يمر بريحانة صدفة في طريق العين فيمضي غير عابىء بريحانة كأنه لم يرها .

ولطالما رأوه يمر بهم وهم الانصار المخلصون فلا شيء غير السلام المقتضب ثم يمضي بهيكله العملاق كأنه الصنم يسير .

لذلك كان الناس في عجب من امره . غير ان عجبهم بلغ الذروة ذات يوم، يوم اخبر بعضهم بعضاً ان خطاراً هجر الضيعة على ان لا يعود اليها ابداً .

وفي الواقع كان خطار يركب البحر يومئذ ماضياً الى حيث تغرب الشمس ليصارع الحياة هناك ... ليصارع ...

رضوان الشهال

المرأة في عهد الفراعنة

كانت المرأة المصرية حرة محترمة متمتعة بحقوقها الاجتماعية حتى كانت تتزوج بمحض ارادتها متى بلغت سن الرشد وتتعلم العلوم التي تجعلها كفؤاً لان تكون ربة بيتها لانها احرزت التربية الصحيحة التي أهلتها لحسن الاختيار .

ولقد ميزت الشرائع والقوانين المرأة المصرية حتى جعلتها مساوية للرجل في جميع الحقوق الدينية ، فقد تولت اهم الوظائف الدينية فلم تكتف بضرب الناي وتلحين الاناشيد المقدسة للمعبودات بل كانت كاهنة للالهة (هاتور) بمدينة (منعنيس) وكان (يسلم العجل ابيس) للسيدات مدة اربعين يوماً قبل وضعه في الهيكل .

وفي عهد (الرعامة) بلغ نفوذ النساء الديني غاية عظيمة حتى كانت المرأة تتولى رئاسة الكهنة للمعبود آمون .



وفي عهد البطالسة كانت الكاهنات يشاطرن الكهنة خدمة المعابد ورئاستها ، وبلغ مقام المرأة غاية قصوى حتى ان (اسيس) وهي الام الالهية والالهة السرمديه ، كانت عندهم اسمى مقاماً من زوجها (اسوريس) والسبب انه من عنصر بشري وان كان آلهاً اما هي فمن عنصر اللاهوت المحض حتى ان ابنها (حورس) كان ينسب اليها لا الى ابيه .

وكانت (نوت) الهه السماء ارقى مقاماً من الالهه (اسيس) لانها اصل النسل البشري وشاغل افق السماء وسميت ملكة المعبودات .

وكان عندهم كثير من المعبودات غير (اسيس) و (نوت) مثل (معت) الهة الحق والعدل ، و (هاتور) الهة السماء و (نفيتش) الهة الموت و (سافخ) سيدة الكتابة وامينة دور الكتب المصريه .

ذكرى «مي»

.. ان الادب اللبناني كان وحده في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحاضر مظهر الحياة والجد والتنوع في الادب العربي الحديث . فبينما كان الادب المصري يصدر عن الازهر ، والادب العراقي يصدر عن النجف ، والادب السوري يجري على اسلوب هذين الادبين ، كان الادب اللبناني يصدر عن مدارس تتسم بسمة الدين ، ولكنها تعترف بوجود الدنيا ، فهي تعلم العلوم الحديثة ، وتلقن اللغات الحية ، وتعتمد في ادب القلب على الانجيل ، وفي ادب اللسان على القرآن ، فبيضت الكتب الصفراء ، ورتبت المعاجم المشوشة ، ونشرت الكتب المقبورة ، ولقحت الاداب العربية بالاداب الاوربية ، وكان من اثر هذا اللقاح النقد والترجمة والصحافة والتمثيل والقصص ، وكان من ثمر هذا اللقاح طلائع هذه النهضة من آل اليازجي والبستاني والشرتوني وزيدان وصروف وشميل والريحاني وجبران ومطران ، وكان لا بد (للماري) العربية ان تجني ثمر الثقافة ما غرس الفرنسيسكان والاميركان والمارون وان تقتبس نور العروبة من الضياء والهلال والمقتطف ، وان تناجي عنادلنا الفردة في رياض مصر وخمائل لبنان ومنازه الدنيا الجديدة ، وان يحملها الاعتداد بجنسها ولغتها على ان تقتصر عن اسمها الاعجمي على طرفيه ليكون منها اسمها العربي : « مي » ..

احمد حسن الزيات



مقتبسة عن المثال يوسف الحويك

في الرابع من كانون الاول احتفلت مصر الشقيقة لانقضاء اربعين يوما على وفاة نابغة الادب العربي « مي » فتبارى الخطباء والشعراء في ذكر فجيعة العالم العربي بكاتبته الفذة . وقد شاءت مجلة « الاديب » ان تخص ذكرى الفقيدة العزيزة التي انبتها لبنان واحتضنتها مصر ببضع صفحات من هذا الجزء ، جامعة لقرائها شذرات مما قيل شعراً او نثراً في هذا المهرجان العظيم ، بادئة بوصف الحفلة كما روتها جريدة « الاهرام » كبرى الصحف العربية .

« الاديب »

يوم « مي »

كان امس يوم « مي » .

قال الناس — هذا يوم تأبينها .

وقالت السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي :

هذا يوم عرسها .

وكان حقاً كذلك .

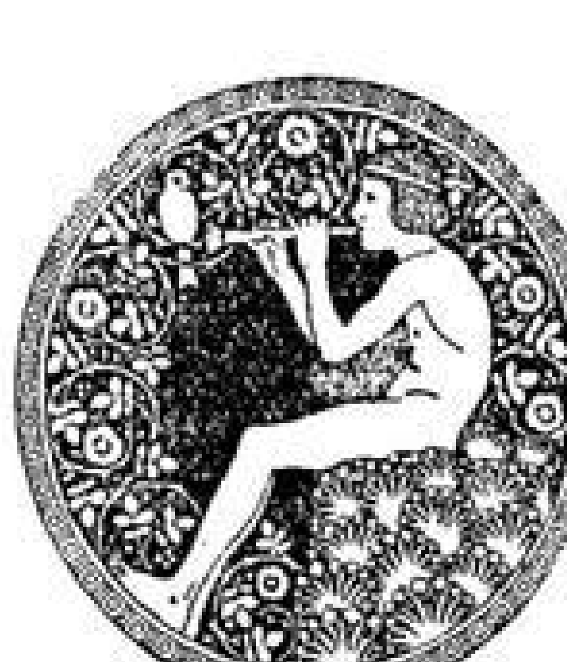
وفود ، وشهود ، وخطباء وشعراء ، وزهور وموسيقى .

وصورة العروس ، تشرف على الحفل الرائع ، مجللة بالسواد .

اما « مي » نفسها ، « مي » الانسانة فقد غابت ... رقدت تحت اطباق الثرى ، في ثيابها البيضاء .

كانت دعوة كريمة .

وجهتها سيدة نبيلة ، كبيرة القلب ، جمة النشاط ، هي السيدة هدى هانم شعراوي ، زعيمة



النهضة النسائية في مصر والشرق .

وجهتها للاحتفال بيوم « مي » .

فلباها جمع حاشد من مختلف الطوائف ، والاجناس ، والاديان .

لباها الوزراء ، ورجال الدين ، والعلم والادب ، والطلاب .

شيوخ وشبان ، سادة وسيدات ، راحوا جميعاً يحتفلون بمأتم « مي » او بعرس « مي » .

وحمل البرق اعتذار من قعدت بهم الظروف عن الاشتراك في الحفل الجليل .

وتحدث الخطباء والادباء .

وعزفت الموسيقي .

روح « مي » تشهد .

والادب يتكلم .

والشرق العربي يتسمع .

* * *

الساعة الرابعة تماماً .

قاعة الاحتفال تضيق بالجموع والاصوات تترامى من مدخل الدار ، حيث وقف الكثيرون يناضلون ، ويطلبون الدخول .

والمسرح خال .

لا خطيب ولا شاعر .

لا شيء الا صورة « مي » تشرف على الجمع ، ووجهها يتألق بشرا ونورا . . في وسط السواد .

ومضت لحظة .

ثم دخل موكب خطباء الحفل ، تتقدمهم السيدة الجليلة « هدى هانم شعراوي » .

وفي صوت مفعم بالحنان والوقار والتأثر ، توجهت الى الجمع قائلة :

« ارجوكم ايها السادة والسيدات ، ان تقفوا حدادا على فقيدتنا العظيمة دقيقة من الزمن » .

فوقف الجميع .

وبان عليهم الحزن والاسى .

وتجلى – في هذه الدقيقة الرهيبة – جلال الحزن ، ونبل الوفاء ، ورهبة الموت وروعة الذكرى .

ثم القت السيدة الجليلة كلمتها الجامعة عن « مي » فقيدة العروبة النابغة .

وتتابع الخطباء واحدا بعد واحد ، يبكون « مي » ويذكرونها ، ويحيونها .

تحدث معالي الدكتور حسين هيكل باشا عن « مي » والسياسة .

وقام على اثره الاستاذ انطون الجميل بك ، فالقى تحية من اعتذروا عن الحضور للحفل ، ومنهم حضرات دولة رئيس الوزراء ، ورفعت علي ماهر باشا ، واصحاب المعالي والسعادة وزير الدفاع ووزير الشؤون الاجتماعية وتوفيق رفعت باشا واحمد حسنين باشا ومحمد بهي الدين بركات باشا ، ومحمد علوبه باشا وقليني فهمي باشا والدكتور واطسون ومريت بطرس غالي بك . الخ .

ثم تحدث معالي الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ، عن « ذكريات لمي » .

وتحدثت الانسة « ابنة الشاطىء » عن « مي الانسانية » .

وتحدث الدكتور منصور فهمي بك عن « مي والعروبة ، والامومة » .

والقى الاستاذ عباس محمود العقاد قصيدته ، ثم تحدث الاستاذ الدكتور طه حسين بك عن « مي والادب العربي » .

وتحدثت الاستاذة عزيزة عباس عصفور عن « رسالة مي » .

والقى الاستاذ خليل بك مطران ، قصيدة الشاعر « احمد محرم » ثم قصيدته .

وتحدثت الدكتورة نعيمة الايوبي عن « مي والابوة » .

وتحدث الاستاذ مجد الدين ناصف عن « مي وباحثة البادية » .

ثم قام الاستاذ انطون الجميل بك فوجه الشكر الخالص ، عن اسرة الفقيدة واسرة الادب ، الى كل من تفضلوا بالاشتراك في حفل « مي » .

وعلى اثره نهض امير الكمان ، الاستاذ « سامي الشوا » فانطلقت النغمات من « كمانه » نائحة ، باكية ، موجعة ، عالية الانين .

ثم كان الختام الرائع ، للحفلة الرائعة ، سمع الناس صوت « مي » .
القته الانسة « اعتماد عبد الغفار » الطالبة بمدرسة الاتحاد النسائي .
تحدثت بصوت « مي » .
القت على الناس نشيد « مي » في « رثاء الكناري » .
ذرفت امام الناس ، دمعة « مي » على « الطائر الغريد » .
فكأنما كانت « مي » تتحدث .
وكأنما كانت « مي » ترثي نفسها .
وكأنما كان بعضها يبكي على بعضها وانفض الجمع ، بعد نحو ثلاث ساعات امضوها مع « مي » التي ملأت الوادي من قبل ، شجوا وغناء وضياء .
احتفلوا بيوم « مي » .
يوم عرسها . . .
وصورة العروس ، تشرف على الحفل الرائع مجللة بالسواد . . .
اما « مي » نفسها . . . « مي » الانسانة ، فقد غابت عن الحفل . . .
رقدت هناك . . . بعيدا . . .
تحت اطباق الثرى ، في ثيابها البيضاء .

مى فقيدة العروبة

●

للسيدة هدى هانم شعراوي

. . . في شهر ابريل من سنة ١٩١٤ نظمنا سلسلة محاضرات للسيدات في الجامعة القديمة . وبينما كنت اغادر القاعة عقب القاء المحاضرة ، القيت فتاة لفتت نظري برشاقة حركتها وخفة روحها وبريق عينين سوداوين تنبعث منها اشعة الذكاء الحاد والفطنة النادرة . يزين هذا كله وجه صبوح تتألق في اساريره ابتسامة كابتسامة الزهر في فصل الربيع . استوقفتني تلك الفتاة قائلة : « سيدتي هدى . انا معجبة بمشروعك ، مقدرة لمجهودك . لذلك اضع نفسي تحت تصرفك . لا تظني اني صغيرة لا استطيع معاونتك . انا كاتبة وشاعرة . انا اكتب في الصحف والمجلات . انا (مي) لا بد لك انك قرأت لي شيئاً ألا تعرفينني ؟ » .

لم اتمالك نفسي اذ ذاك من ضمها وتقبيلها وابداء اعجابي بها وسروري بمعرفتها واغتباطي باشتراكها في حركتنا . لقد رأيت فيها انساناً غير عادي . كانت ذات عقل كبير وقلب اكبر ونفس عالية وتفكير واسع وادراك بعيد . وكانت تعرف قدر نفسها في تواضع وبساطة . ولم تكن ذات جمال خلقي بالمعنى الصحيح ، الا انها بين الجميلات كانت لا تبدو اقل منهن فتنة وجاذبية ، بشيء مستبهم يكسبها هذا الجمال . ولعل ذلك الشيء هو الذي حار في كنهه الشاعر فقال :

شيء به فتن الورى غير الذي   يدعى الجمال ولست ادري ما هو

الا اني ادري ان الذي كان يكسبها تلك الفتنة انما هو جمال روحها ذلك الجمال المعنوي الذي يتضاءل امامه كل جمال . . .

مى والسياسة

●

الدكتور حسين هيكل

. . . وانما اقصد بالتفكير السياسي «لمي» ناحية منه لم يكن لها بد من ان تكون صاحبة رأي فيها . تلك الناحية المركز السياسي للمرأة في المجتمع . اتراها تنزل الى الميدان السياسي تنافس الرجل وتطالب مساواتها به في الحقوق ، ام تراها تزور عن هذا الميدان وتتركه للرجال .

. . . دهشت لاول ما سمعت مياً تقول : انها تخالف الذين يدعون الى مساواة الرجل

والمرأة في الحقوق ، وانها ترى هذه المساواة عدواناً على المرأة وعلى الرجال جميعاً . ودهشت حين رأيتها تنفر من الحديث في حق الانتخاب للمرأة وتذهب في نفورها الى حد بعيد . فلما سمعت تعليلها لرأيها طفقت افكر ، ثم انتبهت من تفكيري الى انها قد تكون على حق . وقد يكون مخالفوها في الرأي على حق كذلك .

... فهي تقول ان اكبر فخر للرجل ، واعظم عنوان لمجده انما هو كمال رجولته . الرجل الناقص الرجولة لا يغني عنه علمه ولا ماله ، بل يظل ناقصاً ابدا ، فاما من كملت رجولته فقدير على ان يستكمل بفضلها ما ينقصه في الناحية التي يبتغي الكمال فيها . ذلك حق نقره جميعاً . فما لنا لا نقر الحق الذي يقابله ، فنقول ان اكبر فخر للمرأة ، واعظم عنوان لمجدها ، انما هو كمال انوثتها ، وانها بكمال انوثتها تستطيع ان تكمل ما ينقصها في الناحية التي تبتغي الكمال فيها ، وكما ان الرجولة قوة ونضال وحرص على الظفر ، فالانوثة عطف وحنان ومحبة ، محبة للكون ولكل جميل ولكل كامل فيه ، وحنان على المخلوق الصغير الناشيء ، زهرة كان هذا المخلوق او نباتا او حيوانا او طفلا ، وعطف على بؤس البائس ، وضعف الضعيف وانة المريض وشكاية العاني وكل ذي ضراء .

... اما النساء اللواتي اثبت التاريخ لهن مجدا باقيا فهن القديسات المضحيات لله وللانسانية وهن الامهات اللواتي انجبن الابطال وهن الرحيمات اللواتي آسين وواسين وهن الملهمات اللواتي اوحين للشاعر شعره ولرب الفن فنه . لم تكن واحدة من اولئك تتخذ النضال صناعة او سبيلا الى المجد بل كانت تؤدي واجبها في هدوء وبلا ضجة او جلبة شأنها في ذلك شأن النحلة اذ تدأب في جمع العسل او شأن الزهرة اذ تتضوع في الوجود جمالا وشذى .

وعلى ما كان من هدوئهن لم ينكر التاريخ فضلهن بل اثبت لهن في صحفه مجدا باقيا على الدهر .

من ذكرياتي

لمصطفى عبد الرازق

... كتبت في بعض مذكراتي في مساء الجمعة ٢٨ ابريل سنة ١٩١٦ : « حضرت حفلة في فندق الكونتننتال اقيمت لمطبعة المعارف التي مضى على انشائها خمسة وعشرون عاما . كانت الانسة مي في من خطب وتلك اول مرة سمعتها فيها خطيبة وملأت عيني منها ولم اكن نظرتها من قبل الا لمحا : فتاة رشيقة ذات وجه فيه حلاوة وفيه حياة ولها طريقة في الالقاء معجبة ولهجة عذبة ولئن تكلفت احيانا في الحركة والاداء فان في رشاقتها ومهارتها ما يجعل في هذا التكلف نفسه نوعا من الفن الجميل . تمتاز الانسة بالذكاء متقدا في عينيها الصافيتين وبفصاحتها واطلاعها وحساسيتها يلوح في اساريرها صبا تكاد الفتاة تمثله طفولة في غرارتها » .

ومنذ اشهر معدودة كنت اشهد حفلة في قاعة الجامعة الاميركية وانتهى الاحتفال واخذ الناس يتبادرون الى الانصراف متزاحمين بالمناكب واذا سيدة في سمت ووقار تأبى الزحام فتتأنى . هذه « مي » ولم اكن رأيتها منذ سنين : اشتعل رأس « مي » شيباً وبدت تجاعيد وهن والم في وجهها السمح يكاد ابتسامها يخفيها ويكاد يخفيها الشعاع المنبعث من نظراتها .

وفارقت مياً بعد ما حييتها وتحدثت اليها حديثا قصيرا ثم اتاني نعيها غير بعيد .

كانت (مي) اديبة جيل وكانت صديقة كريمة .

سلام على مي !

نزعات مي في حياتها

للدكتور منصور فهمي

... ان مي برغم شرقيتها ووطنيتها وعلمها الغزير ظلت محتفظة بخير ما في المرأة وهو نزعات الامومة والانوثة . (وقرأ لهذه المناسبة من كتابات مي قطعة رائعة لها عن بكاء الطفل تضمنت كيف كانت الفقيدة تنحى باللائمة على السيدات اللواتي لم يجعلن غرضهن الاسمى

في الامومة، والعمل لصغارهن، اذ ان المرأة خلقت لتكون أماً قبل ان تكون حسناء او زائرة او كثيرة التردد على المجالس وغير ذلك مما يخرج المرأة عن بيتها وعما تؤديه فيه من اسعاد الزوج والبنين) .

وانتهى الخطيب من ذلك بان اورد كلمة كانت الفقيدة الراحلة قد كتبتها وهى على قيد الحياة ، تلك الكلمة هي :

« هذا قبر فتاة لم ير الناس منها غير اللطف والبسمات ، وفى قلبها الآلام والغصات . لقد عاشت ، وأحبت وتعذبت وجاهدت ثم قضت » .

اثر مى في الادب

الدكتور طه حسين

.. لقد عرفت مي في سنة قبل الحرب الكبرى وعرفتها في الجامعة المصرية القديمة في حفل كان يقام لصديقنا الاستاذ خليل مطران وكانت تتحدث فيه الى الجماعات لاول مرة فيما اظن وسمعنا نحن طلاب الجامعة لاول مرة في تاريخنا ايضاً صوت فتاة تتحدث الى الجماهير وكان صوتاً عذباً لا يكاد يبلغ الاذن حتى يصل الى القلب، وتملكت النفس بهذا الصوت وامتلأت القلوب بصاحبته في احاديث اولئك الشبان عندما كانوا يتحدثون بعد ان انصرفنا عن الحفل.

(ثم تكلم الدكتور طه حسين بك عن الصالون الادبي الذي كان يعقد في دار الفقيدة، قال) :

هذا الصالون الذي استؤنفت فيه الحياة الادبية المشتركة بين الرجال والنساء بعد ان انقضت عصور بغداد والاندلس . وهي بانشائها هذا النادي الذي لم يكن ضيقاً ولا ارستقراطياً ولكن كان واسعاً ديمقراطياً .. وحسبكم اني استطعت ان اصل اليه حين لم اكن اكثر من طالب بالجامعة القديمة - هذا النادي الذي انشأته بغاية السذاجة والذي يلتقي فيه المثقفون على اختلاف ثقافتهم فيتحدثون بالعربية وبغيرها من اللغات المختلفة ويسمعون فيه شعراً ونثراً وغناء وموسيقى، هذا النادي اثار في نفوس المصريين الواناً من الشعور وضروباً من العواطف لم تنقض آثارها ولن تنقضي .

... فاذا ذكر تأثير هذه الاندية التي يشترك فيها الرجال والنساء في احاديث العلم والفلسفة والفن فستذكرون انتم في تاريخ ادبنا الحديث «مي» كاولئك اللائي كان لهن ابعد الاثار في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر في فرنسا وانكلترا وغيرهما .

... والشيء الثاني الذي اسجله هو ان مي قد تأثرت كما تأثرنا نحن في شبابنا بحادث بسيط في نفسه كل البساطة ولكنه كان بعيد الاثر في حياة كثير من جيلنا . هذا الحادث هو محاضرة القاها استاذنا احمد لطفي السيد باشا في نادي المدارس العليا عن ابي العلاء . ما اكثر الذين سمعوا هذه المحاضرة وما اكثر الذين فكروا فيها، ولكن هناك قوماً سمعوها وسمعوا الحديث عنها فلم ينقض تفكيرهم فيها حتى اخذوا ابا العلاء على انه موضوع يصح ان يفكر فيه . من هؤلاء مي . فقد اخذت ابا العلاء الذي اظهره لطفي باشا لجيلنا على انه شيء يجب ان يفكر فيه . فكرت فيه وعلقت على تتبع ما كان يكتب عن ابي العلاء . وما لقيتها الا تتحدث في فلسفته وفي تشاؤمه ثم في عزلته .

... وكذلك كانت حياة مي . فمنذ عرفت ابا العلاء تتبعت حياته ولكنها شاركت الناس في حياتهم باسمة مظهرة للرضا مضمرة لعبوس شديد وسخط متصل . ثم توفي ابوها فازداد حزنها وتشاؤمها . ثم توفيت امها فانقطعت الصلة بينها وبين الناس . واذا هي العزلة المرة التي لا يتخطاها الانسان الا بالجهد الشديد والالحاح المستمر .

سافرت مي الى الشام وانقطعت اخبارها ثم اتصلت مؤلمة ثم عادت مي فسعيت اليها واستأذنتها فتأبى علي وتنبئني بان ليس بينها وبين غيرها من الناس اتصال ولا خطاب ولا حديث الا من طريق الكتابة فان كانت لك كتب لم اقرأها فارسلها الي واما شخصك فلا اراه ولا يراني .

واسمع نعي مي فلا ازيد على ان اعيد في نفسي هذه الابيات التي كنت انشدها كلما لقيتها :

الما بي قبل ان تطرح النوى	بنا مطرحاً او قبل بين يزيلها
فان لا يكن الا تعلل ساعة	قليلا، فاني نافع لي قليلها ! .



رسالة مى

الآنسة عزيزة عباس عصفور

اشارت الخطيبة الى جهاد مي في سبيل المراة فقالت : (كانت مي معتزة بكرامتها معتدة بنفسها مؤمنة برسالتها ايماناً تجلت فيه شخصيتها الرائعة فقصدت لهذه الرسالة لا كمصلحة اجتماعية فحسب بل كادبية انسانية ترسل اناشيد الحرية والجمال وتشع انوار الايمان العميق بالحب : حب الام لطفلها .

لقد كان حتماً ان تؤمن مثل هذه الفتاة بالوطن الممتد بآماله واحلامه فتحولت مي من الذات الفردية المحصورة الى العالم الرحيب تقدم اليه من قلبها وقلمها قرباناً وكان هذا القربان احاسيس قلب كبير ونفثات قلم ثائر) .

وبعد ان نوهت الخطيبة بجهود الفقيدة الكريمة في خدمة الشرق اختتمت كلامها بقولها : (لقد انتهت حياة مي، ولكن ثورتها ما زالت عبقرية وانتصارا) .

◆

اذين العود

من قصيدة الاستاذ خليل مطران

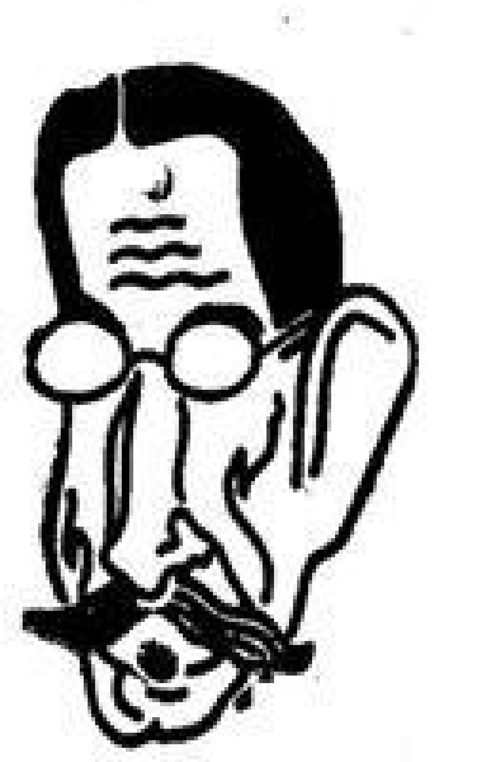
قـد تولى رفاقنا وبقينا ... يعلم الله بعدهم مـا لقينا
هل من الصاب في كؤوسك سؤر ... قد سقينا يا دهر حتى روينـا
اوداع يتلو وداعـاً وتأبين ... على الاثر معقب تأبينـا
ايها الشاعر الذي كان حيناً ... يتغنى وكان ينحب حينـاً
حطم العود ان كر الليالي ... لم يغـادر في العود الا الانينا
أن يلم الردى بمي وان يطـ ... ـفيء مصباحها اليس غبينـا

* * *

اقفر البيت اين ناديك يا مـ ... ـي اليه الوفود يختلفونـا
صفوة المشرقين نبلاً وفضلا ... في ذراك الرحيب يعتمرونا
فتساق البحوث فيه ضروباً ... ويدار الحديث فيه شجونا
وتصيب القلوب وهي غراث ... من ثمار العقول مـا يشتهينا
في مجال الاقلام آل اليك السـ ... ـبق في المنشئات والمنشئينا

* * *

وحي قلب يفيض بالحب للخير ... وجدي اليه من يجتدونا
ويود الحياة عزاً وجهدا ... لا يود الحياة خسفاً ولينا
فهو آنـا يثور ثورة حر ... عاصفا عصفة تـدك الحصونا
ينصر العقل يكشف الجهل يوحي ... العدل يرعى الضعيف والمسكينا
اين ذاك الصوت الذي يملك الاسـ ... ـماع في كل موقف تقفينا
فجع الشرق في خطيبته الفصحى ... ومـا كان خطبها ليهونا
ابلغ الناطقات بالضاد عيت ... بعد ان ادت البلاغ المبينا
اطربته وهذبته وحثتـه ... على الصالحات دنيا ودينا
بكلام مفصـل زانت الحكمة ... فيه البيان والتبيينا
قدرته لفظاً ولحظاً وايماء ... بمـا ودت المنى ان يكونـا
ذاك في العيش ما شغلت بـه ... والغيد تاهو وانت لا تاهينـا



صحف مطوية

بين الدكتور شميل والانسة « مي »

زار المرحوم الدكتور شبلي شميل منذ سنوات الكاتبة النابغة الانسة « مي » في منزل والديها لاول مرة فجرت بينهما محاورة جميلة فريدة في نوعها . فقد دخل الفيلسوف خدر الانسة فما نفرت من جلال حكمته ولا فزعت من هيبة طلعته ولكنها قرأت في كتاباته عداءه للجنس اللطيف فأبى عليها وفاؤها لنفسها وبنات جنسها ان تبتسم لخصم لا يعرف الابتسام . ولكنه اخذ يخفف من روعها فقال : « منذ زمن طويل اتشوق للتعرف بك » . فاجابته وهي واجفة : « هذا التشوق متبادل بلا شك غير اني اخاف منك » . قال : « تخافين مني لماذا ؟ » قالت : « لاسباب متعددة اهمها انك تكره السيدات وانك عالم مادي وانا شاعرة روحية الميول » . فاحس الحكيم هول التهمة الملقاة عليه وانبرى لاثبات احترامه للجنس اللطيف ففرحت اذ رأت الرجل العظيم من حزبها لا من اعاديها ووجدته شاعرا بقدر ما كان عالما .

وفي الغد ارسل اليها قصيدة بليغة فاجابت بقصيدة كستها من اللغة الفرنسية اجمل حلة واننا ننشر هنا تلك المحاورة مبقين ما نظمته الانسة « مي » باللغة الفرنسية بتوقيع «ايزيس كوبيا» كما هو حرصاً على ذكرى ذلك العصر الذي لم تكن تجيد فيه الا الفرنسية . وفيه دليل جديد على مقدرة هذه الاديبة وعبقريتها .

رعب « مي » وطمأنتي لها

ابا من رابها مني مقالي … فجاءت وهي تنفر كالغزال
تقول : « اخاف منك على خيال … ارى في آيه كل الجمال »
كأن حقائقي ليست جمالا … وانّ خيالها منها لخال
اذا قلنا الرياض اليس نعني … الشباب الغض في ابهى المجالي
اما هذي الثريا في سماها … عناقيد تشع على الدوالي
وما معنى العيون اذا تجلت … وقلنا انها الشهب الصوالي
وما هذي الثنايا ان تبدّت … وقلنا دونها الدرر الغوالي
ومن انباك عن اني عدوّ … لجنس كان مرآة الرجال
واني ليس لي فيه خيال … ونوب في الاداني والاعالي
كأني ليس لي قلب خفوق … محط الوحي او هدف النبال
اما اوحيت لي «هذا» و«هذا» … وما انا شاعر والجسم بالي
اذا ما قمت اطري الحبّ يوماً … الا تدرين انك في خيالي
خيالات مخيلها ذوات … كوائن عندنا في كل حال
فعلمك بالحقائق غير مزر … عسى يوقي الخيال من الضلال
ذعيها مهبطاً للوحي كيلا … نكون به كما في ذا المقال
« نصيبك في حياتك من حبيب … نصيبك في منامك من خيال »

شميل



RECONCILIATION

Qu'elle (1) ait d'abord germé dans les grottes liquides.
Où la Muse a placé son Neptune puissant,
Ou, qu'en feux endormis au fond de corps solides,
Elle ait franchi les airs, sur les vagues rapides,
Pour enrichir la terre et de sève et de sang;

●●●

Que ce qui vous est doux me paraisse tragique,
Que vous citiez Darwin; moi, Shelley et Daphnis;
Que vous placiez le BEAU dans un monde pratique;
Et que mon rêve à moi, câlin et nostalgique,
Saigne en dérobant leur secret aux myosotis;



●●●

Que vous toisiez le TOUT et que moi je délire,
Que mon sourire soit triste et le vôtre si fin,
Que je pleure en touchant les cordes de ma lyre ;
Et que le bistouri puisse encor vous séduire;
Qu'étant tellement vous, me fassiez peur, enfin.

●●●

Au fond de tout cela qu'y a-t-il, ô Science,
Sinon la douloureuse et belle Humanité?
Divisés par l'orgueil, l'intérêt, la souffrance,
Ne sommes-nous pas tous frères par l'espérance,
Ne sommes-nous pas tous chercheurs de Vérité ?

Isis COPIA

الى الساحرة ايزيس

◆



تقولين اني اسير الثرى — وانت تحومين حول السهى
وانك في ذا المحيط ترين — النفوس واني اريك الصدى(١)
فراعك مني تصاب — فانشدت فينا اختلاف الهوى
تظنين اني فتنت بماد — وليس افتتاني بهذى النهى
كأني نظرت بعينك فيك — وانت، نظرت بعيني انا (٢)

A Monsieur le Dr. SCHEMEIL

Echange, dites-vous, échange de nos yeux?
Docteur, vous oubliez que cela ne peut être;
La fleur qui sent la brise effeuiller tout son être
Peut-elle donc rentrer dans le sol soucieux?

●●●

Votre œil qui connaît tant de misères humaines
Ignore du chagrin le trouble caresseur :
Rien n'affecte ses eaux quelquefois si lointaines.
... Un rien baigne mon œil d'ivresse ou de langueur.



●●●

Et si vous avez pu vous pencher sur mon âme
Pour y déchiffrer mon rêve angoissant et pur,
Si vous avez sondé ces profondeurs en flammes,
C'est qu'en votre œil demeure une larme d'azur.

"Isis"

---

(1) *La Vie.*

(١) الجسد بعد الموت وهنا يراد به المادة (الصدى)
(٢) اي اني نظرت اليك بعين روحانيتك وانت نظرت الي بعين ماديتي •

من ذكريات بغداد

[١]

الخضرة والماء « وعفريت العمران »



هذه بغداد العظيمة بجهلها المشتت ونضارتها المشعثة وكبريائها العتيدة ، تزدحم فيها حادثات التاريخ في جلباب من الغبار والنسيان ، اكثر من ازدحام اهلها في « الدرابين » اللولبية الضيقة ، وتزخر فيها ذكر الماضي اكثر من زخور دجلتها . وذلك الجسر العائم الذي يجدد ذكرى اولئك الذين بنوا المدينة ، في كل صوت يئن به ، وفي كل نحيب يتعالى منه وهو يرزح تحت اثقال الماضي والحاضر : الماضي في سكان بغداد ، والحاضر في من اتوا الى بغداد .

لله بغداد ! .. ما يستقر بها فكر زائرها حتى يحلق في ارجاء العصور ، او يدب في ثنايا التاريخ امداً بعيداً ، فما يفتأ البصر يترامى بين الرصافة والكرخ في طلب موكب من مواكب الخلفاء ، او مجلس من مجالس الشعراء ، او حفل للادباء والشعراء .

في كل التفاتة ذكرى خليفة ، وذكرى ليلة .. والف ليلة ، وفي كل سانحة حديث فيلسوف او تحقيق عالم ، او اثر مهندس او وحي شاعر —

والنواسي والندامى ، أمنهم سامر يملأ الدجى او ناد ??

ثم يقع الفكر وقوع الطائر بعد طول التحليق ، فيستريح من بغداد التي كانت — وقد تعرفت اليها منذ عشر سنوات — الى بغداد الحاضرة ، حيث ثوى الهاشمي الكبير فيصل ، بل الى امة اخذت للمجد اهبتها ، واعدت للعظائم عدتها وعرفت بين الامم غايتها ، وشقت وسط الخطوب الدوامي طريقها الشاقة ، فسارت في مواكب من همة قعساء ، وعزة متناهية ، وانفة بدوية ، وسطوة عربية ، وكبرياء خاصة ببغداد ، وقد آلت على نفسها ان تسير سيرتها حتى النهاية .

ذلكم حاضر مجيد تمتد اصوله الى ماضي مجيد .

ذلكم حاضر يتدفق من شواهق المجد في مجرى العزمات الماضية الى المستقبل الوضاء .

تلكم نهضة تبعث في النفس الامل .

تلكم نهضة تشيد معالم الحضارة والعمران ، مستحلة في سبيل ذلك عصمة النخيل وسكون الماء ، غير متورعة من ان تعكر زرقة السماء .

فماذا عساني ارى في « عروس الخلفاء » بعد طول الفراق ???

النخيل !! . ويا لسحر النخيل . فهو يغذي هذا البلد الامين ، ويمنّ عليه بالبحبوحة وبالراح وبالسعادة . ان في كل باسقة صرخة تدوي في الفضاء ، هتافاً لبغداد في عرسها الغابر ، وعرسها الحاضر .

ان النخيل يفر اليوم امام فأس العمران على الضفتين ، ويتراجع الى الوراء الا بعضه ، وقد جاور الحدائق الغناء ، وأظلّ الدور المبعثرة في واحاته هنا وهناك ، واسدلت بواسقه الضفائر على جنبات القصور .

شوارع عريضة مستقيمة شقت طريقها كالانهر المتدفقة في غابات النخيل ، تتسارع الارصفة الرحبة على ضفتيها ، مراتع نزهة لعشاق المرح من اهل الحبور .

وبين الفينة والفينة يطل عليك قصر ناصع كأنه ماسة على بساط من السندس ، وقد ضمته عناقيد الزمرد المتدلية ، ثم يشرف عليك ما انتظم من قلائد الدور المتواضعة وكأنها المخدرات انحسر النخيل عن بعض اطرافها ، فتدلت الى صفحة الماء ، وسالت اخيلتها في امواج ناعمة من مرصوف الفسيفساء . بينما الشمس تتكشف عن نواحيها المتوردة ، وكأنها ابراج كسرى معلقة ما بين الماء والسماء .

وبين الفينة والفينة تعترض طريقك الحدائق العامة الضاحكة ، وقد اسدل العمران عليها بهاء ما بعده من بهاء . وكستها الطبيعة حلة متجددة الوشي من الوان قوس قزح . بينما الماء يسترق سيره المتعارج ما بين الورود والزنبق والنرجس والريحان ، ويروي غلتها طوراً ويغرقها بفيض من دفقه تارة ، حتى تكاد تنتفض لفرط سرورها وقد غمرتها رعشة الحياة .

في هذه الجنة الارضية يلعب صغار البغداديين ويتنسمون في لهوهم ومرحهم الصحة والنشاط والجمال، فبينهم من اعتلى الارجوحة الحمراء ، وبينهم من امتطت صهوة شقيقها في سباق مع ابنة الجيران ، وهنالك جلست على المقعد الخشبي شقيقتهم البكر تحيك بصنارتها جواربا صوفيا لخطيبها الذي ربما كان يحوم في طيارته فوقها الان . الا تراها كيف تتلفت بشوق الى عنان السماء ؟.

ها هي الشوارع قد استطالت امام خطانا ، وان مزارنا لبعيد . فلنعمد الى عربة تقلنا الى الضفة اليسرى من النهر ، فنعبر احد جسري بغداد الثابتين الى الكرخ ، فلقد جرف العمران الحديث جسر بغداد التاريخي العائم ، ذاك الجسر الذي سارت عليه زحوف الامم والشعوب في مدها وجزرها ، نحو الشرق تارة ونحو الغرب طوراً .

لقد خفت انين الجسر الى الابد ، وخفتت معه الضجة البابلية المتواصلة ، وصفا الجو لامواج دجلة الناعسة ، فلا هبوط في عوامات الجسر تعترض سلامة مسيرها ، ولا سلاسل حديدية تقطع في اوصالها ، امواج رقراقة وسنى تنسل ، متسارة بعضها لبعض ، عن مصيرها في الخضم المالح العظيم .

« ابو مروان »



الغواصات

وكيف نشأت

يرجع تاريخ الغواصات الى ٣٠٠ سنة خلت غير ان الدول لم تبدأ اهتمامها بها الا في اواخر القرن التاسع عشر اي حوالي عام ١٨٨٠ ميلادية تقريبا .

صنعت اول غواصة كاملة العدة في سنة ١٧٧٥ والذي صنعها هو احد المهندسين الاميركيين ويدعى « بشنل » صنعها كلها من الخشب وكانت آلاتها تدار باليد ، لها صمام يفتح فيدخل فيها الماء لتغوص تحته . واذا اريد تعويمها نزع الماء منها .

ولم تكن هذه الغواصة تتسع الا لشخص واحد ، وكانت كمية الهواء فيها صغيرة بحيث لا تكفي الا رجلا واحداً مدة نصف ساعة .

وفي عام ١٨٠١ صنع المخترع فلتن المشهور ثلاث غواصات ، اثنتان منها في فرنسا ، والثالثة في اميركا . وكان يستعمل الهواء المضغوط لنفسه ومن معه في هذه الغواصات ، وقد افلح في ان يهبط باحدى غواصاته الى ٢٥ قدماً تحت الماء وان يظل غائصا زهاء اربع ساعات .

وكانت غواصات هذا المخترع تدار كذلك باليد ، غير انها امتازت على غيرها بانها تغلق من الخارج بطبقة من النحاس الرقيق .

واول من استعمل الآلات في ادارة الغواصات هو المخترع شارل براون وكان ذلك في عام ١٨٦٢ .



اين حوريات الشعر ؟!



يتساءل الكثيرون من نقاد الادب كيف ان الشعر لم يتأثر بفواجع هذا العصر الهائج المحموم . فكأنما شعراء هذا الجيل في هجمة ذاهلة لا يستشعرون الاحداث التي تقوض اركان عالم يتململ في اربطة الالم وعصائب العذاب .

ولعل ذكرى النهضة الشعرية الفياضة التي تفجرت في القرن التاسع عشر وانطفأت لدى اشتعال الحرب الكبرى الماضية هي التي تحمل مراقبي التطور الشعري على التخوف من هذا الجمود في انتاج الشعراء .

ففي فرنسا مثلا قام في الجيل المنصرم عصبتان من اكابر الشعراء . فالاولى ضمت في حلقتها فيكتور هيغو ولامارتين وموسيه وفينيي والثانية بودلير وفرلين ورنبو ومالارمه وغيرهم .

ولاح عقيب الحرب الكبرى بارق وهاج في دنيا الشعر ، لكنه كان ومضة سانحة ، فقد حصدت تلك الحرب نبوغ «ابولينير وبيكي» ولم يقم بعد هذين الشاعرين ملهم كتب له الخلود .

غير ان هذا الجمود الطويل لا يعني ان الحس الشعري قد مات او تحجر ، فالظروف والعوادي التي تطغي على مقدرات الناس وتلعب بمصيرهم والاحداث الهائجة التي تتأرجح بينها حياتهم في اعصار هذا العراك المجنون تحرمهم وسائل اخراج شعرهم ونشره .

تقول الاساطير ان للشعر الاهة تلهم الشعراء وان لكل شاعر حورية تبعث في اعماق نفسه الوحي ، فهل اصبحت هذه الحوريات العابثات في جنة الشعر مدافع ومصفحات ، وهل قضت عليها حرب الطغاة ؟ لا هـذا ولا ذاك ، فالشاعر يخلق ربة شعره من خياله ويستوحيها من جمال بنات جنسه . وربة الخيال هي للشاعر اسمى من التي يعثر عليها بين قافلة البشر . فالاولى يخلقها الشاعر على مثال حسه وصورة الهامه ، اما الثانية فان قبلة واحدة من ثغرها تطفي الخيال وتمسخ العاطفة فيصبح الوحي شهوة دنيوية .

الشعر العاطفي وليد الالم وربيب الشقاء . والشاعر الذي يغني السعادة شعره فانما يطلق هذا النغم في فترة من عزلته وساعة من ذكرياته . اما الالم فانه يوقظ في النفس الحساسة لدى كل نعرة صورة بكرا وعاطفة سمحاء .

اي امرىء نال شيئا من الثقافة ولم يقل الشعر ولو مرة في ربيع شبابه عندما يتفتق القلب عن زهرة الحب ويشعر بالم الصبابة وعذاب الجفاء ودلال الحبيب ؟ وكثيرا ما يفلت المرء من هذه الطفرة الشعرية وهو لا يدري كيف مر به الخيال مرور الظل . واذا هو عاد يوما الى قيثارته فانه يجدها مقطعة الاوتار . وهذا ما لا يؤسف عليه لان هؤلاء القوم ليسوا بشعراء .

وهنالك فريق وقف مشاعره على الحب فهو يستهدف المحبة في كل شيء ، فيحب قريبه الانسان ، ويحب الانسانية والمثل العليا والكائنات من كل حي وجماد ، ومن امثال هذه العصبة ينشأ الشعراء الخالدون . وقد نجد احياناً في شعر هذه الطبقة الملهمة مظاهر اسفاف مريض لا يتفق وما يبدو لنا من عبقريتهم ، لان احساسهم المرهف يصور لهم شوكة الوردة مخلباً مسنوناً ونابا مصقولا ، فيبالغون في الشكوى من علة جسدية بسيطة . ولو كان هؤلاء الشعراء على مستوى سائر البشر لتحملوا عاهاتهم بشيء من الصبر وتعودوا عليها وتناسوها ، لكن شعورهم اليقظان جعلهم يبالغون في احساسهم بهذه العاهات فيفكرون بها دائما ويتكلمون عنها ويتعلقون بها تعلقاً مؤلماً يحملهم على الزهد في الحياة والانصراف الى تعزية النفس بالشعر .

فلو لم يكن « كيتس » قزماً « وشللي » ذا عاهة في حنجرته وبيرون اعرج لكانوا انصرفوا الى نواحي حياتهم العادية ، فكان بيرون مثلاً لوردا عظيما يقيم حفلات الصيد والمآدب ، لكن العاهات البسيطة التي يتحملها ويتعودها سائر الناس ايقظت فيهم ألم الكبرياء وجنحت بهم الى التذمر والشكوى فتجلت شاعريتهم من خلال شقوق الالم .

لست من دعاة النسك والتقشف ولا من المبشرين بضرورة الالم والعذاب لاستخراج كوامن العاطفة كما ينتزع الجلاد اسرار الضحية من اعماق الضمير او كما يضرب الفارس الحصان لتثور اعصابه فيمضي في العدو شوطاً بعيدا ، ولكني ارمي الى نتيجة كان اهمالها والأعلى ادب هذا الجيل . فالرخاء والبحبوحة وسعة العيش والانغماس في ملاهي الحاضر ، دون النظر ولو بطرفة عين الى المستقبل تقود حتما الى ما نحن فيه اليوم من ويل وشقاء وجمود في جميع مناحي هذه الحياة المادية والمعنوية والروحية .



فاذا كانت ثورة المادة وسيطرة القوة قد سطتا على شعور المفكر وغلبتا احساس الشاعر فما ذلك الا عارض يزول . فالقوى النفسية كامنة محبوسة في مضغط تتجمع فيه الخبرات كمياه النبع الحزين وتزبد نار الالم في صهرها وتطهيرها حتى تأتي الساعة التي ينفجر فيها هـذا الينبوع العميم بفيضه وخيره فيكون العالم عهد يحسبه جديدا على حين انه وليد الم تتململ منه النفس ويعانيه الجسد

ولنا من تاريخ الاداب ما يثبت ان انكماش الفكر وانطواء الشعر على نفسه يهبطان بهما الى مستوى المادة ولكن الى حين محدود ، وينقضي هذا الحين المحدود فتنكشف في وجه التاريخ تلك الكنوز الموؤودة .

« شاعر »

طبيب العائلة

بقلم الدكتور حسين سري الدبه

لقد درج الناس على الاعتماد بعضهم على بعض ، وعلى تولية الثقة اشخاصاً معينين يضعون بين ايديهم مصالحهم ، فيستأنسون بآرائهم ويعتمدون على معارفهم ويرضون بالنتائج التي تجنيها لهم جهودهم، مثال ذلك ان يكون لاصحاب المصالح محام خاص يستشيرونه في كل مهامهم ، ويعملون بآرائه التي لها صلة بالقانون ، ويولونه حق الدفاع عنهم في المحاكم ، ولا يرضون عنه بديلا ، لانهم لا يثقون الا فيه او في من يثق هو فيه .

وقد تتوطد بينهم وبينه روابط الالفة والاخلاص ، فيحتل مركز القريب او الصديق الحميم من العائلة، ويصبح خبيراً باحوالهم الخاصة مطلعاً على خفاياهم ، يفهم بكلمة او بنظرة ما يعجز غيره عن فهمه بعد الدرس الدقيق . ويتولد من ثقتهم به مسؤولية تدفعه الى بذل اقصى جهوده لصيانة حقوقهم مع المحافظة على مصالحه وارضاء ضميره الحي . ومثال ذلك ايضاً ان يقتني احد الناس سيارة ويسلم قيادتها الى احد السواقين ، يعتمد عليه في سوقها وفي الاشراف عليها والسهر على آلاتها وعلى جميع حاجاتها من زيوت ووقود ، لحفظها سائرة واذا عرض ما يدعو الى تغييره واستبداله بسواه ، يقف متردداً قبل الاقدام على هذا التبديل ، باعتبار ان السائق قد اعتاد على تلك السيارة وصار ملماً بحركاتها ، عليماً بخفاياها عارفاً مواطن الضعف فيها يقودها على نسق خاص جعل الآلات الصماء في جوفها معتادة عليه . فصاحب السيارة واثق بان تغيير الايدي وتبديل الاشخاص يعود بالضرر على سيارته وعلى آلاتها ، فهو والحالة هذه يتمسك به متحملا شذوذه وغير المألوف من طباعه وعاداته طمعاً في حفظ سيارته سليمة ، وفي صيانتها من العطب . وهكذا في سائر الاعمال والعلاقات بين الناس التي ترتكز جميعاً على اساس تبادل الثقة بين الافراد بعد التحقق من اهليتهم ، ومن خالف ذلك وسار على التنقل من شخص الى آخر لا يكاد يولي احدهم ثقته حتى ينزعها منه ويسعى الى غيره ، كان نصيبه الفشل التام في كل ما يقوم به من الاعمال .

ولما كان الجسم البشري الذي تتدفق منه الحياة وينبع النبوغ وتتولد العبقرية وتصدر الاعمال الجبارة هو نحيف التركيب دقيق الصنع سريع التأثر بعوامل الطبيعة فبينما تراه يدك الجبال بقوة اختراعه ويفل الحديد بعزم دماغه ، لا تلبث ان تشاهده يخر صريعا تحت وطأة جرثومة حقيرة يدوس الملايين منها كل يوم بقدميه غير شاعر بوجودها — ان هذا الجسم الانساني الذي تطور مع الايام واكتسب من اختبارات الاجيال وتقدم مع العصور ، الذي يسبح في صباحه في حوض من المياه المعطرة ويعود في مسائه مخضباً بنقيع من التراب ، يعيش تحت الارض فيتنفس الهواء الدفين ، وعليها فيملأ رئتيه بالهواء الموبوء ، وفوقها فينتعش بالهواء النقي ، الذي يعيش عند خط الاستواء فيعرض جلده لحرارة الشمس المحرقة ، ويعيش في القطب فيكسر الجليد عن منخريه ليفسح طريق الهواء الى رئتيه ، الذي يلتهم اللحوم ويقضم البقول ، ويشرب الماء القراح ويحتسي الكحول والسموم ليبني منها حياته وقواه ، الذي يرتدي ناعم الحرير ويتجلبب بالصلب من الحديد ليقي جسمه من عوامل الطبيعة وشرورها . اجل ان ذلك الجسم الذي يستهلك في مختلف الاعمال ويثبت تجاه كل المتناقضات ، حري بان تلقى مقدراته في يد حكيمة وتحت عين يقظة تسهر على رعايته ، اسوة بالاعمال والمصالح المادية التي يؤتمن عليها محام واحد هو موضوع الثقة ، واسوة بالسيارة المؤلفة من الحديد التي يوكل امر العناية بها الى سائق واحد لا يبدل بغيره بسهولة . وما ذلك المعتمد الامين والوكيل الموثوق به الذي يحمل على منكبيه مسؤولية الصحة ، وتلقى بين يديه آلام الحياة ومتاعبها وامراضها ، سوى طبيب العائلة ذلك المفروض فيه ان يحمل بين طيات دماغه العلم والحكمة ، وداخل صمامات قلبه الحنو والشفقة ، وعلى لسانه عبارات التنشيط والتعزية ، وبين يديه بلسم الشفاء والتقوية . ذلك الذي يجود بنفسه في سبيل حياة وصحة من يؤتمن على العناية بهم والسهر على راحتهم ، ذلك الذي يعرض بسمعته وكرامته ، اذا اقتضى الامر ، في سبيل كرامة مريضه وصيانة سر مهنته ، ذلك اذا حضر تهتك عند قدومه الستور ، واذا سأل تختلج لدى اسئلته الصدور ، فلا تخفض العذراء بصرها في حضرته حياء ، ولا تقفل المحبة باب خدرها في وجهه تحفظاً .

اجل ذلكم هو الجدير بهذه الثقة وبهذا الائتمان ، والذي لا تقوم مصلحة العائلة ولا تتمتع بنعيم

الصحة الا بالقاء اعبائها بين يديه . وتجاه هذه الثقة وهذا الاعتماد يفرض عليه كثير من الواجبات التي لا يقوى على احتمالها الا الاخلاص والوفاء اللذين يفرضهما عليه الضمير والتضحية . واهم هذه الواجبات ما يأتي :

اولا – السهر على صحة المنزل – من حيث موقعه وتقسيمه

واستعمال اجزائه وفرشه وتهوئته ونظافتــه ، وتعريضه لحرارة الشمس والتأثير ما يحيط به من حدائق او يربى حوله من حيوانات او طيور او لما يزين بــه من رياحين وزهور . ذلك ان المنزل هو مملكة الزوجة ونعيم الاولاد والملجأ الامين الذي يأوي اليه رب العائلة بعد جهاد النهار واتعابه . ولما كان احتشاد المنازل يزداد مع الايام ومقتضيات المدينــة تطلب وفرة المفروشات والرياش والاواني المنزلية ، اصبح الاعتناء بهذه الاشياء من الوجهة الصحية واجباً كي لا تتحول الى اداة لنقل الجراثيم والامراض .

ثانياً – فحص الافراد في حالة الصحة – ان الرقابة الصحية

تقضي على طبيب العائلة ان يكون لديــه سجل صحي يخص صفحاته بافرادها . ويعمد بين الفترة والاخرى او عندما يشعر باي تغيير في مزاج احدهم الى اجراء الكشف الصحي التام عليــه ، مع الاستعانة بالسجل لاجراء الفحوص اللازمة وذلك لتدوينها في ذلك السجل ولارشاده الى ما يجب الاقدام عليه من عناية صحية او معالجة ، وبهذا يتوصــل في كثير من المرات الى اكتشاف امراض لم تزل في بدايتهــا حيث يسهل معالجتها واتقــاء شر استفحالها . وغير خاف ان اخطر الامراض وفي مقدمتها التدرن الرئوي يبتدئ بصورة خفيفة لدرجة تجعل شفاءه مؤكداً في ذلك الحين ، اما اذا تأصل فيصبح الخلاص منــه مستحيلا . وامراض كثيرة غيره اذا تمكن الطبيب من الوقوف عليها في بداية امرهــا وفر عن اصحابها كثيراً من البلايا . ولهذا يقال في الداء : « داوِ العلة قبل تمكنها » .

وكثيراً ما تكشف له تحاليل المختبر عن ادواء دفينة مــا كان المريض يعلم بها او يشعر بوجودها كالداء السكري مثلا . فان المصاب به يسلخ اعواماً من عمره يعد فيها كثرة الاكل شهية وكثرة الشرب نتيجــة كثرة الاكل وكثرة البول نتيجة كثرة الشرب ، ولهذا لا يلجأ الى حمية او الى معالجة الا بعد ان تسوقــه الصدف الى طبيب يستشيره في امر آخر ، او بعد ان يستفحل امر الداء ويصبح في حالة خطر على الحياة . . . ولو كان هذا المريض

يخضع لرقابة طبيب العائلة ويتترج به كثير الاحيان ويلاحظ عليه افراطا في الاكل والشرب وكثرة تبويله او يحلل له بوله في اوقات معينة من السنة عند اجراء الفحص الكامل عليه كما مر بنــا ، لادرك حدوث الداء في بدايتــه ووضعه تحت الحمية اللازمــة والمعالجــة المقتضاة ولوفر عليه كثيراً من الويلات والمفاجئات الخطرة ، اذ كثيراً ما يبقى هذا الداء خفياً الى ان يفاجأ المصاب بتسميم الدم ، فغفوة موت لا يقظة بعدها . وتزيد على ذلــك ان طبيب العائلة الذي يلم بتاريخ اجدادها الطبي على قدر ما يمكن ان يتصل به ، يعرف الامراض المتأصلة فيها والتي ادت الى وفاة الاباء والاجــداد منهم كما يتمكن من تدارك وقوع هذا الداء وغيره فهو ينهي الشخص الذي يلاحظ عنده استعداداً لوراثة الداء عما يعرضه للوقوع فيه كالاقلاع عن بعض المآكل وعدم الاكثار من الاكل وتوقيت النوم والعمل والتقيد بشروط صحية جمة يمليها عليه . وهنا يمتاز ايضاً طبيب العائلة عن غيره من الاطباء المستشارين بانه بما يفرض من حمية او من شروط صحية يتمكن من السهر على تنفيذها بسبب احتكاكه بالعائلة وامتزاجه بافرادهــا . فهو والحالة هذه يمثل القوة التشريعية والقوة التنفيذية في وقت واحــد اذ كثيراً ما يكون عجز التنفيذ من العوامل التي تجعل قوة التشريع ، مهما تكن محكمة وحكيمة ، عديمة النفع والفائدة .

الدكتور سري الدبه

فائدة المشي

◆

الالعاب الرياضية مع الاستمرار على قواعدها المتبعة ضرورية جدا لحفظ الصحة جيدة . وانفع الالعاب واكثرها فائدة ما كانت في الهواء الطلق ، واصح السيدات جسما هن اللواتي يمارسن الالعاب الرياضية .

والرياضة البدنية انواعها كثيرة ، وافضلها المشي إذ ان كل سيدة وكل فتاة يجب ان تمشي خمسة اميال يومياً على الاقل . لكن قليلا من السيدات والانسات يمشين هذا المقدار لركوبهن السيارات والمركبات الكهربائية .

والمشي واجب للسيدات اللواتي يمضين اكثر اوقاتهن جلوسا ، وذلك بان يخرجن من منازلهن على الاقدام ويسرن في طريقهن ، حتى يصلن الى منتزه او حديقة او غير ذلك من الجهات التي يكثر فيها الهواء الجاف النقي ، ثم بعد قضاء الوقت المناسب يعدن ثانيا الى منازلهن سيرا عــلى الاقدام . بهذا يجدن صحتهن في تقدم وعضلاتهن في نمو .

والسيدة التي لا يمكنها الخروج يوميا للتروض واستنشاق الهواء يمكنها ان تمشي يوميا داخل غرفتها مدة عشر دقائق تقريبا ذهاباً واياباً بشرط ان تضع فوق رأسها كتاباً تكون متزنا على قمة الرأس ، فان هذا النوع من التمرين مفيد جدا . واحسن الاوقات للرياضة البدنيــة هو الصباح في البكور ، وفي المساء قبل العشاء .

صور من البادية

بقلم جبرائيل جبور



الوقت سحر وقد عقد الطل سرادق من سحبه انتشرت فرقاً فوق اديم الاودية والسهول، فعبقت الارض باريج القيصوم والشيح، واختلطت انفاس الابل وهي تتحرك من مرابضها بقطرات الندى المتعلقة باهداب الرند والبان، فتململت المضارب بعد سكونها في هدأة ذلك الليل الندي، وحان من الحي هبوب فهبوا، ونادى مناد: أن ارحلوا! فحلت الاطناب واقتلعت الاوتاد وقوضت الخيام ثم حملت الجمال وسارت الظعون. ويكفي ان نقول: الرولا، عرب الشعلان، حتى ترى بادية الشام تضج مرحبة بمن سيحل رحابها.

اجمعوا امرهم عشاء فلما اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن مجيب ومن تصهال خيل خلال ذاك رغاء

البشائر قد وردت تترى في ان الحماد (اي بادية الشام) قد أمطر الوسمي. وقد طلع سهيل فيجب ان يشرّق البدو. وسهيل نجم يسود في السماء اربعين ليلة، والسماء كلها سماؤه والنوء نوؤه، فاذا نزل الغيث فهو غيثه، وحبّ بغيث سهيل فهو الذي يجعل الارض تخرج شطئها وتظهر وسمها وتكوّن كمأها وتملأ غدرانها. ثم يدال من سهيل الى الثريا فتملك خمساً وعشرين ليلة تليها الجوزاء مثلها وتلك تسعون يوما هي ايام الخريف عندنا، ثم تطلع الشعرى فتملك مدة سهيل، يليها السماك فيأخذ دور الثريا والجوزاء وهذه تسعون اخرى، ثم يأتي فصلا الصيف والقيظ. فالبدوي يقسم سنته الى خمسة فصول: الصفري ٩٠ يوماً حكم سهيل والثريا، ثم الشتاء ٤٠ يوماً حكم الشعرى ثم السماك خمسون يوماً ثم الصيف وهو شهران والقيظ وهو اربعة شهور، وتسمى الامطار باسماء الفصول فهو وسمي في الخريف يليه شتوي يليه سماكي يليه صيفي، وقلما عرفت البادية المطر في القيظ.

فلنعد الى الرولا فقد شرّقت وقد ملأت الحماد ابلا تسعى. ساقة تتلوها ساقة، وظعن يعقبه ظعن، وقد سارت امام هذه الخليقة المتحركة طلائع من الفرسان تشق لها طريقها الى الصحراء. وتخلفت وراءها مواكب اخرى تحفظ مؤخرها من طوارق الحدثان، وسار في القلب ظعن ابن الشعلان شيخ الرولا وزعيمها الاكبر ويعرفونه بظعن الشيوخ.

واستقر البدو بالحماد وانتشروا في رقعتها الواسعة، وضربوا الخيام في بطحائها على اكتاف الاودية متجنبين مجاري السيول «ليا طلعت سهيل لا تأمن السيل».

وانقطعت عن الحواضر اخبارهم الا ما كان يرد بين الشهر والشهر على فم رسول اتى في حاجة خاصة او تاجر من العقيدات قد نفقت بضاعته فعاد يلتمس غيرها او بدوي سرقت فرسه فأتى يطلبها.

وكان لي صديق لم ادر ما الذي دفع به الى جوف البادية وكان يألف بي ميلا الى درس احوال البدو فكان يبعث اليّ باخبارهم في رسائل لا ازال احتفظ بها واشعر كلما تلوتها بنفحة من عبق الصحراء وحنين الى ايام حلوة قضيتها على ضفافها.

عن الحماد في غرة اذار ٣٦

... وبعد فاني اكتب اليك والحماد جنة، والبدو مستبشرون فالغيث كثير والخير كثير، والابل تكاد اسنمتها تتقصف فوق ظهورها من السمنة، وواحات الحماد تكاد لاخضرارها تشبه الجنات الغناء، فما كنت ادري قبل اليوم ان انواعا من الزهر تنبت فيها، فهنا فصائل من الزنبق البري بالوان ارجوانية وصفراء وبنفسجية وبيضاء، وهناك بقعة من الخزامى تتلألأ تحت وهج الشمس فما ان تداعبها ريح الصبا حتى يعبق الفضاء بأريجها فتحمله الريح معها الى كل مكان، وهنا الشقائق تتموج كغدران من دماء وهنا الحوذان بنوره الاصفر الفاقع يذكرني بابن الفارض في يائيته بل بقيس بن الملوح حين يقول:

الا ليتنا كنا غزالين نرتعي رياضا من الحوذان في مهمه قفر

لقد رأيت العشب في بعض مغاضات الاودية خميلة تكاد تطاول السدر والضال ورأيت الرعابيب من بنات البدو يأتين مبكرات يغرفن الندى عنه ليملأن قربهن منه، أسمعت قبلها بواردات يردن الندى مستعيضات بمائه عن ماء الغدران.

ولقد تشققت الارض عن نبت فطري يسمونه الكمأة وانتشر صبية البدو ونساؤهم مد نظرك يبحثون عنه ثم يقتلعونه بعصي لها اسنة حديدية فلا يعود واحدهم آخر النهار الا نائيا بحمله. والغريب ان هذا النبت ليس له ورق، ولولا الشقوق



نشرت بأذن من السيدة « كلافيل »



التي يحدثنها فوقه في سطح الارض لما امكن الاهتداء اليه . انه يكاد يقوم مقام اللحم عندنا فترانا نكتفي الآن باللبن والعيش والكمأة الا في العشيات في حفلات الاعراس وهي كثيرة ، ففي كل عرس تذبح الذبائح وتنحر الجزر ثم يدعى كل اهل الفريق او القبيل حتى اذا فرغوا من الطعام اقاموا مصفا للرقص والدبكة لساعة متأخرة من الليل ، ويا لها من ليال في الصحراء. سماء صافية على خلاف ما يعتقد اصحابك في لبنان ونجوم تتلألأ في عرصات السماء فترى عينك منها ما لا تألفه من قبل . ماذا اقول ؟ لقد استعنت منذ ليال بمنظار اعارنيه الشيخ نوري الشعلان فرأيت بعض السيارات بحجم القمر واولا قليل لقلت كما كان يريننا اياها مرصدكم في الجامعة . وسكون يخيم في الليل تجلله الروعة والبهاء . انه ليل الصحراء ، ليل الشعراء ، بل ليل الانبياء ، انه ليدنو الان ، وحبّ به ، ولم يبق في الشمس غير ذماء صعدتها انفاساً ملتهبة صبغت الافق الغربي بلون عندمي ناري كالعصفر او الزعفران وانعكست هذه الالوان على الغيوم الريشية المنتثرة في السماء فاذا بها صور من سحر الطبيعة تعز على الرسامين .

ها ساقات الابل تعود الى مراحها واصوات الرعيان تتردد من بعيد وهي تحدو لها فتتجاوب اصداء الحداء مع دقات اجران البن في الخيام ، وها البدويات يهيئن الوقود للنار ، بل ها هي النيران تشب صفاً في كل خيمة من خيام الفريق الذي انزل فيه ، يقابلها مثلها في خيام الفريق الآخر . قد عاد مضيفي الى خيمتنا فاعذرني اذا تركتك الان والى اللقاء ..

صديقك . ج .

رسالة مهملة التاريخ وصلت في غلاف واحد مع الرسالة السابقة :

لقد تركتك منذ ليال حين اتاني مضيفي في تلك العشية يستصحبني معه الى وليمة عشاء دعينا اليها ولعلك تعذرني الان اذا تجاوزت ذكر كرم هؤلاء البدو وجودهم فانت تعرف ذلك اذ قد لفت نظري شيء اهم واجدى ، كان القمر بدراً وقد مد السماط امام الخيمة وتحلق المدعوون حوله نوبات خمساً ، تبعاً لمكانتهم ومقامهم ثم انصرفنا الى الحديث والسمر وكان يدور حول الغزو والحروب تتخلله اخبار عن عجائب الغرب من هذه الدراجة التي يسمونها فرس ابليس الى هذه الطيارة التي لا يفقه البدوي كيف يجرؤ مخلوق على اعتلاء متنها او الجثوم في جوفها ، الى اخبار فتاة خطبها خاطب فلم يشأ ابن عمها تزويجها منه وهو صاحب الحق في امرها فخطفها خاطف ارتحل بها الى قبيل آخر ، الى التحدث عن فرس لاحدهم والتحفظ بابداء آرائهم فيها كأنهم في الحديث عن اعراض الناس . وما كدنا نفرغ من هذا السمر حتى حدث ما لم يكن عندهم بالحسبان ، لقد سكن الجو بغتة واخذت السماء تظلم شيئاً فشيئاً فذعر الناس وهب البدو من شتى الخيام ونفروا خفافاً من هول الفزع ، ترى ماذا جرى؟ ابيت عدوّ ؟ لا انما هو البدر يخسف او قل يبلعه الحوت ، ولا تسل عن قلقهم وجزعهم على البدر ، فهو عندهم رمز الخير ينير الليل ويقطر الظل ويسحب الغيوم وينمي النبت ويمكن البدوي الظاعن من النوم آمناً في ظعنه . اما الشمس فهي مخلوقة للشر تجفف الارض وتبخر الرطوبة من النبت والتراب ، بل من الحيوان و الانسان وتنزع الحياة من الاجساد ، ثم تفسد الاجساد فتنتن و تنشر سمومها في الفضاء .

القمر شاب غض طرير وهي عجوز متسترة عاقر رآها فغره منظرها من بعيد فأحبها ، حتى اذا زوج منها اختبرها فكرهها ، وكانت غضوباً شرسة فكرهته وكرهت معه الحياة فسلطت نفسها عليها تنتزعها انى وجدتها • تخاصما فخدشها بوجهها فادماها فخدشته بوجهه فاقتلعت عينه وهي لا تزال تترصد لتوقع به الاذى ، فهو يخشى شرها . تقترب منه فيجزع ويقلق وينحل من الخوف و يضعف حتى يصبح هلالا ، ثم تبتعد عنه فيطمئن و يعود الى صحته ، ويصبح بدراً . ولكليهما عدو هو الحوت قد سلط عليهما منذ الازل يحاول نهشهما او ابتلاعهما فاذا عرض للشمس هالت الرولا له وتمنت لو يبتلعها و ينقذها من كيدها ، واذا عرض للبدر فهناك الهلع الاكبر. انهم يفزعون لنصرة البدر ، الصبية تصفق بايديها وتقعقع بشنانها والنساء تنقر بالعصي على الصحون اوما ين من الاواني ، و الرجال هذا يلوح بسيفه في الهواء وذاك يركض فرسه في الفضاء ، بل قد تعمد النساء الى الهوادج فيركبنها ، والجميع بصوت واحد ينجدون صاحبهم صارخين : يا حوت اطلق القمر ، يا حوت اطلق القمر ! ولقد افلحوا بالامس كما

افلحوا من قبل، وكان خسوفاً كلياً، واطلق القمر من فم الحوت بعد ان ابتلعه كله، وعادوا الى خيامهم ساكنين. غداً سنرحل الى مكان بعيد ولست ادري متى اعود اليك فالى اللقاء.

صديقك. ج.

عن الحماد في ٢٠ نيسان

... قطعة من رسالة

لقد اتاني كتابك مع هاجم بن فراج وانا في رغد من العيش في هذه البادية، عجباً ان ست ساعات من الليل تكفي حاجتي للنوم. فهل هو الهواء ام هي تربة الصحراء؟ لست ادري، انما اشعر اني انهض (على طول السهر) عند فجر كل يوم ناشطاً لأي عمل. ولا اكتمك اني تعلقت بحب هؤلاء الناس، فلت الى كثير من اخلاقهم وعاداتهم، فانا في امن وهناء؛ ويكفي ان تكون في جوار احدهم لتنعم بالامن والهناء ولا تظنن ان حب الغزو يقسي من قلوبهم، فليس البدوي محباً للقتل او سفك الدماء؛ انما هو يرغب في مالك اذا كنت عدواً، لا في نفسك الا اذا ناله منك ضرر فقتلت احداً من ذويه، فهو منتقم لا محالة وثائر حتى ينال ثأره، او يستعطف فيرضى بديته. وهو هذا يحتقر الحضر، وذل الحضري وخنوعه.

ولا يزال للاعتبارات الروحية والاخلاقية في نفسه مكانة كبرى على قلة المامه بامور الدين. ولكنهم على ذلك لا يزالون متمسكين بهذه الاخلاق العربية الكريمة من نخوة واباء وشجاعة وكرم ووفاء وبأس وعزة نفس. قويهم زعيمهم، وللقوة اعتبارات، وليس من المحتم ان تورث الزعامة للاكبر من الابناء، بل هي في الغالب تعود الى القوي بينهم. فالنوري شعلان لم يكن اكبر اخوته بل اقواهم، وكذلك حفيده فواز الان. ولقد سألت النوري كيف يكون فواز شيخاً بعدك وله اخ اكبر منه؟ فقال. «خويه ما له نجم».

قطعة من كتاب اخر.. مهملة التاريخ:

اتريد ان تفهم حياة العرب القدماء؟ فتعال التمسها هنا، وحسبك عصبيتهم الحادة للقبيلة وغيرتهم على شرفها ومكانتها حتى تلك القبة التي كانت لبعض القبائل في الجاهلية، فان عند الشعلان ما يماثلها، وكذلك قل في امور حكمهم وقضائهم اما الادب الجاهلي فليس ادب يماثله كادب البدو، لا من حيث الاوزان وقواعد اللغة بل من حيث المفردات والاسلوب وطرق التعبير والمعاني والصور الشعرية. او قل من حيث الحياة التي يمثلها.

ولقد حاولت جمع بعض اشعارهم وقصصهم فلاقيت ما لاقى الرواة الاقدمين حين حاولوا تدوين الادب القديم: اختلاف في الرواية وضعف في الاسناد واضطراب في الذاكرة، حتى الشعراء انفسهم فانهم لا يحفظون كل اشعارهم، وان حفظوها فليس بصورتها الاصلية، ولقد انشدني احدهم قصيداً وكنت قد سمعته من غيره ودونته، فلما عارضت انشاده على ما بين يدي رأيت الاختلاف، فذكرت له الامر فقال: والله ما ادري، «اثنيهم زين».

ايها القارىء الكريم لقد خدعني صاحبي وخدعك معي لقد عرفته ملماً باخبار البوادي ولكني لم اعهد له اقامة طويلة في الصحراء، ولست اكتمك اني لم اعرف حتى الان اديباً عربياً خالط البدو في سوريا وعاشرهم ودرس احوالهم وبحث عن عاداتهم وادبهم بشيء من التفصيل. ان الفخر في هذا يعود الى عالم تشيكوسلوفاكي هجر براغ ومدنيتها واوروبا وحضارتها — طلقها تطليقة دامت اربع سنوات لم يرجع بعدها الا بدوياً خالصاً يعرفه الروله بالشيخ موسى الرويلي ويصدق فيه:

ومن تكن الحضارة اعجبته فاي رجال بادية ترانا

Alois Musil

الرائد التشيكوسلوفاكي يستبدل بالقبعة الكوفية والعقال، بالبدلة الثوب والعباءة. ترك طعام الاوروبي ليأكل طعام البدوي، ويعاف الماء المصفى النقي ليشرب من ماء الغدران الاجن. خلف وراءه حياة القصور ليستقبل شظف العيش. هجر ركوب السيارة ليضرب آباط الابل واكبادها متردداً من مخيم الى مخيم، متنقلا من قبيل الى قبيل، من ابن الشعلان الى ابن سمير الى ابن معجل الى ابن جندل، ونحن نيام. ثم لا يعود الى اهله الا متأبطاً كتاباً ضخماً عن احوال الروله وعاداتهم. (١)

فمن لي بالعربي الذي ينهض لمثل ما نهض اليه الشيخ موسى الرويلي؟ من لي بالعربي الذي يقف نفسه لدرس هذه النواحي المهملة من حياتنا؟ اني اليه أهدي هذه الكلمة.

جامعة بيروت الاميركية — جبرائيل جبور

(1) The Manners and customs of the Rewala Bedouins - New-York 1928.



الادب ما بين الارض والسماء

بقلم « سعيد »

في قاموس الادب الحديث عبارات جاهزة اشبه شيء بالقوالب الخشبية التي يستعملها صناع الاحذية . وهي غالبا ما تختلس مظهر الحقيقة التي لا شك فيها فلا يحاول العقل ان يتريث عندها قليلا ولا كثيرا . بل غالباً ما يمر بها مر الكرام كما يقولون وهي كثيرة لا تحضرني كلها . وحسبي الان ان اتكلم عن اكثرها شيوعا واختلاساً لمظهر الحقيقة الراسخة

فأدباؤنا – حفظهم الله – اذا ما ارادوا ان يتمدحوا اديباً او فيلسوفاً او فناناً قالوا انه يحلق في سماء الادب او سماء الفلسفة او سماء الفن ، الى غير ذلك من الافلاك الموهومة التي صنعها الانسان . وهم اذا ما ارادوا ان يبدعوا صنعوا لانفسهم اجنحة بلا ريش وهموا نحو الفلك . ؟

واكثر خوفي على الاديب الذي يحب التحليق ان ينتهي به تحليقه الى طبقات الجو الاعلى حيث لا هواء يصلح للحياة فيما نعلم ، واكثر خوفي عليه ان يصير الى ابعد من تخوم الجاذبية الارضية فينهوي على ام رأسه صعداً حتى يتحطم لا سمح الله على جلامد المريخ او يغرق في قيعان نهر المجرة او يسقط نعم الفريسة في اشداق الدب الاكبر الامر الذي لا نستحبه له ولا هو يستحبه لنفسه .

فلنعد الى الجد اذن او فلنعد الى الارض والارض والجد في حديثنا هذا مترادفان فما قولك في من يخاطب من المريخ اهل الارض لو ان للمريخ اهلا؟ الا ان يكون كلامه لغوا من القول . وما كنت انا لاتحدث اليك الان عن التحليق في الادب لو لم اكن انا على الارض فعلا ولو لم تكن انت كذلك على الارض فعلا ولو لم نكن كلينا من الارض في بقعة واحدة معينة مشتركة اسمها لبنان فيها جماعة من الادباء لهم ولع بالتحليق فما يهمني في شيء ان اذيع هذا الحديث على سكان القطب الشمالي مثلا . وما يهم سكان القطب الشمالي في شيء ان يستمعوا الى حديثي هذا فيما اعتقد .

واذن فلنعد الى الارض مرة ثانية لنتكلم عن طبيعة النسر الذي قد يكون اول من لفت وجه الانسان نحو السماء . وما يجدينا ان نعلم ان كان ذلك النسر او الذبابة . لكن الذي يجدينا ان نعلمه هو ان الدين كان العامل الاساسي الاول في تقرير العلاقات بين الارض والخيمة الزرقاء العجيبة ذات القناديل .

فلما كان آدم وكانت حواء ، فغضب الله من بعد ذلك والهبوط من خمائل الفردوس الى جرداء الارض ، كان في الخلية الادمية التي خرجت من صلب آدم حنين غامض مبهم . . . حنين الى السماء ، وكان في الخلية الادمية كذلك كره غامض مبهم كره الارض . وبين هذا الكره وذلك الحنين نشأت في سلالات آدم فكرة صورية راسخة هي ان العلو مما ينبغي للشيء الجيد والمستحب والغالي وان الانحطاط مما يلزم الشيء الردي والمكروه والرخيص ومن هنا كان طموح الانسان ونزوعه الى الانسلاخ من الارض فكرا وجسدا والتحليق ابدا في اجواز الفضاء .

وان تاريخ الانسانية لحافل بهذا الطموح . او لم تأتك اخبار الانبياء والمرسلين ؟ وحكماء الاغريق السبعة وافلاطون وارسطو ؟ والفارابي وابن سينا والغزالي ؟ ومغامرات العقل في مجاهل ما وراء الطبيعة ؟ .

اولا تنظر اليوم الى الانسان كيف صنع نسراً من خشب وحديد ليهتك به اسرار السماء المرصودة الابواب ؟

فانت ترى ان هذا الطموح عريق راسخ من الصعب استئصاله ان لم يكن من المستحيل ، وما يجدينا في الواقع ان نستأصله ؟ بل ما يضيرنا ان يكون الناس قد اصطلحوا في حوارهم اليومي على نعت فلان بالرفيع القدر وفلان آخر بالوضيع ؟ او في معاملات البيع والشراء على جعل الاشياء ذات قيم مالية تتراوح حسب الجودة والرداءة والعرض والطلب بين علو السعر وانخفاضه ؟ .

بل ما يضيرنا ان يطير العلماء الى طبقات الجو الاعلى او يحاولوا ان يتصلوا بالمريخ او بالقمر ؟

لربما كان في ذلك خير للارض وابناء الارض .

وانما سقت لك كل هـذا الحديث لننتهي منه الى الادب، والادب غير العلم كما تعلم . هذا وضعي بحت لا يتأثر باقليم وذاك شخصي بحت لا يستطيع ان يتملص من طابع الاقليم الا ان يكون كالادب الدخاني الحائر يخلق من الوهم بين الارض والسماء على جناحين بلا ريش .

والعالم دماغ فحسب دماغ مطلق ينشد المعرفة . والاديب مزاج قبل اي شيء آخر يتكيف بتكيف الطبيعة الارضية .

الا ان التحليق لنزعة سخيفة جد سخيفة وهي على سخافتها تكون خطرا على ادبنـا الناشيء وحسبك ان تعلم انها تستلزم الانسلاخ من الارض والتملص من الطبيعة الانسانيـة . والانصراف عن كل ما خلفته مواكب البشر على سطح الكرة من اثار الجسد واثار الفكر . وهي اذا دلت على ظاهرة من ظواهر ادبنا فانمـا تدل على ضعف التفكير العلمي . فليس في استعارة شكل السماء للادب ذرة من المنطق . فالمفروض في السماء علمياً انها فضاء غير محدود لا شكل له ولا لون (فما الاحديداب والزرقة التي تتراءى لنا غير نوع من الوهم البصري) .

فلست ادري كيف يجوز لنا اذن ان نستعير شكلا وهمياً لا وجود له لنسبغه على عـالم معنوي موجود ذي هوية محسوسة كالأدب .

انما يجوز لنا ان نستعير للادب شكل الكرة الارضية مثلا بل اني لاذهب الى ابعد من ذلك فاقول ان ليس من شكل نستطيع ان نستعيره له غير شكل الكرة . لان حياتنا الفكرية كما يؤكد العلامة « برجسون » انما هي مطبوعة على شكل العالم المـادي الذي يحتويها . كالهواء او الماء الذي يتخذ شكل المكان الذي يحتويه .

فاذا صح ذلك وهو صحيح كما اعتقد واعتبرنا عالم الادب كرة كالارض كان لنـا ان نقول بوجود جاذبية من شأنها ان تجذب الذي من طبيعته الانجذاب اليهـا . سمها الجاذبية الادبية اذا شئت .

وهكذا ينقلب التحليق رأساً على عقب . فالمرحلة التي يريدها بعض ادباء لبنان ان تبدأ من الارض وتنتهي (اولا تنتهي) في مجاهل الفضاء اراها انا تبدأ من سطح الارض هابطة ... غائرة (لا صاعدة) حتى تنتهي في مغناطيس هذه الجاذبية حيث تلاقت وتتلاقى ابـدا اقلام العباقرة من كتاب الانسانية .

ها انذا اراني على باب موضوع جديد طالما رغبت في طرقه . فهو احـدى المشاكل في حياتنا الادبية الحاضرة .

ولعلك قد سمعت فيما مضى بنغمة الادب العالمي والادب الاقليمي او قرأت عنها شيئاً فإلى مرة قادمة احدثك فيها ان شاء الله عن الاقليمية والعالمية .



حديث الامهات

بقلم الدكتور صبري الادهم

ان تبدأ الطبيعة عملها في اعداد كل انثى للامومة منذ تتكون جنيناً في الرحم نراها تمضي في عملها هذا حتى يصل المخلوق الى سن البلوغ . وكل انثى لا تحمل يوماً ثمرة في احشائها تكون قد شذت عن نواميس الطبيعة وعن الغاية التي خلقت لاجلها .

ومهما بلغت المرأة من الرقي ونالت من النبوغ في جميع مناحي الحياة فانها تبقى — ان هي لم تصبح اماً — بعيدة عن الناحية التي خلقتها الطبيعة لاجلها .

وفي عالم الحيوان يتولد في الام غريزة وفطرة تكفلان التناسل وتربية المخلوقات حتى اذا أتم الحيوان هذا الواجب الطبيعي انقطعت كل صلة بينه وبين مواليده وأصبحت الام والوليد غريبان كأن لم يكن بينهما صلة رحم وحليب وتربية .

اما لدى الانسان فان الغريزة والفطرة لا تكفيان لتربية الطفل واعداده للمستقبل خصوصاً وان تطور المدنية واستطراد الحضارة في طريق الرقي المتواصل تخلق لدى الام مطامع واطماع تدفعها الى الاعتناء بطفلها عناية بالغة وتعهده بتربية بدنية صحيحة وتعليم واسع وتهذيب راسخ في صميم الاخلاق وثقافة مكينة عريقة ليكون منه في المستقبل رجلا شديد المراس صلب الجانب يقوى على مغالبة صعاب الحياة ومكافحة الشدائد وليتمكن من ان يقطع له في هذا الجيل المتلجلج اوفر نصيب من الجاه العريض والبحبوحة الواسعة التي تشتهيها كل ام لولدها ويحلم بها كل اب لابنه .

فعلى كل أم رشيدة ان تستعمل الحكمة والدراية لصقل المواهب الطبيعية في ولدها وانمائها الى اقصى حد ممكن مستعينة بحنوها وحبها مقرونين الى العلم وبارشادات ذوى الخبرة والاختصاص في اصول تربية النفس والعقل والجسم وان تماشي عصرها وتراعي تطورات الايام فلا تقف جامدة جافة متكمشة بعادات واعتبارات تتنافى وظروف الحياة كأنما هي تربي ولدها لجيل عبر .

وقد شاءت مجلة « الاديب » ان تفسح بين صفحاتها حقلا خاصاً بهذا الموضوع ترشد فيه الامهات اللواتي سيحملن بين ايديهن سعادة الناشئة ومستقبل الامة ، الى السبيل السوي ، ويساعدهن على انجاز اقدس واجب خلقن لاجله ، وذلك على اسس العلم الحديث وضوء الاختبارات الصحيحة ، فتكون قد ساهمت في اعداد فتاة اليوم وام الغد للقيام بواجبها الاول في هذه الحياة ، واستبقت الاخطاء التي تتعرض لها الام الفتاة في مستهل حياتها العائلية .

فالطفل ثمرة الام وعصارة حياتها وينبوع حنانها ومنتهى آمالها ، تلك الوديعة الثمينة المقدسة البريئة التي القتها الطبيعة في احضانها بعد ان ملأتها بالحياة وبقوة المناعة وقابلية النمو ، لا يجوز ان تحول الى بؤرة جراثيم ومستودع امراض واسقام ، فتصبح النضارة هدفاً معرضاً لفساد المعيشة ولاخطار الحياة وجور الايام والسنين . فالولد كالازاهير والاشجار والطيور والحيوانات الاليفة ، يقتضي تربيته ونموه اصولا محكمة اذا سير عليها اصبح تعرضه للاسقام والامراض قليلا جداً بالنسبة لما يتعرض له البالغون ، ويأتي الامر معكوساً اذا اسيء فهم اصول تلك التربية ، وسير بها على اهواء شاذة واراء عقيمة غير خاضعة للاصول الطبية والاختبارات العلمية . وتخطىء الامهات اللواتي لا يأبهن لهذه الاصول ويصغين لاراء المسنات من الامهات اللواتي يدعين انهن انجبن اولاداً اصحاء اقوياء دون ان يكون لهن علم باصول التربية العلمية الحديثة التي لا تؤدي في عرفهن الى نفس النتائج الحسنة التي يجنينها بفضل السير على طريقهن القديمة ، لان ما بقي لهؤلاء الامهات من اولاد اشداء هم فضلة عزرائيل الذي اجتاح اضعافاً من اخوتهم محت الايام ذكرهم من مخيلاتهن ، ولو بقي شيء من تلك الذكرى الاليمة لعزونه الى القضاء والقدر . وليس الى الجهل والاهمال .

واليوم بعد ان سار العلم هذا الشوط الواسع في سائر نواحيه نرى ان كثيراً من الادمغة المفكرة تذاب ، ومن ملايين الدراهم تنفق ، ومن السنين الطويلة تسلخ من اعمار نوابغ الرجال ، في سبيل فهم اصول التربية الصحيحة عند الاطفال ، وتجري بعد ذلك الاحصاآت الدقيقة المسجلة فتجيء مثبتة نتائج تلك الجهود المحمودة . فهذه الخلاصة الثمينة المستندة الى العلم والتجارب هي ما يجب ان تستنير به الام الراقية في سبيل تربية بنيها وهذا ما سأجتهد ان اوافيها به في كل شهر على صفحات هذه المجلة الزاهرة .

الدكتور صبري الادهم

انت وجـــــــــارك

بقلم فريد نجار

الانسان اجتماعي بالطبع . ان حياة المرء هي حياة انسان بين اناس آخرين ، والعالم الذي يعيش فيه هو عالم حيوانات حية واشياء لا حياة لها . يولد الانسان طفلا فيوضع في المهد ويرضع ويعتنى به ، ويكون في دور الطفولة والشباب مصدر قلق واضطراب لاهله وذويه على نموه ومصيره ، ومصدر سرور ومحبة وعطف ايضاً ، كما يكون عرضة لمعاملة رفاقه الخيرة او معاملتهم السيئة . وتلقى عليه بعد سن البلوغ ، مسؤوليات وواجبات نحو افراد محيطه ، افراد عائلته اولا ثم زملائه في العمل او المهنة ، وابناء بلده وحكومته ، فهو محوط دائماً بمحيط اجتماعي وظروف اجتماعية ، تقرر الى حد بعيد ، رغباته وميوله ، وينشأ كثير من مشاكله ومصاعبه في الحياة عن عدم تمكنه من تكييف نفسه حسب الاشخاص الآخرين الذين يتصلون به ، كما ينشأ كثير من ملاذ حياته ونعمها عن اتصاله بهم ايضاً . فليس رضاه بتقدير الناس له او غبطتهم اياه على نعمة هو فيها او خوفهم منه واحترامهم اياه وطلبهم وده الا مظهراً من مظاهر حياته الاجتماعية ، كما انه ينعم ايضاً بمساعدته الاخرين وجلب السعادة والهناء لهم

ومن اهم قابليات البشر اقتدار المرء على رؤية خفايا الوضعيات الاجتماعية وادراك رموزها واصطلاحاتها ، واعني بالوضعيات الاجتماعية الاعمال التي يشترك فيها افراد آخرون وتكون ذات تأثير متبادل في سلوك الفريقين ، وبعبارة اوضح القابلية لمعرفة ماذا يجب ان يصنع كي يكيف نفسه حسب الجمهور . ومن كان ناقصاً في ادراك هذه الرموز استرعى انتباه الجميع وكان بنظرهم ناقصاً وغير محبوب من رفاقه فاذا كان المرء ابله اثار سخرية الناس دون ان يشعر بذلك ، واذا كان عديم اللباقة اتى اعمالا وتفوه باقوال تجلب الضرر والاذى لرفاقه دون ان يشعر بما صنع . واذا كان ممثلا الكن لايدرك لحظات السخرية التي يتبادلها سامعوه او مشاهدوه ، او السكون والبرود اللذين يقابله بهما مستمعوه ، ولا يتأثر بما يحدثونه من اصوات وهمسات ، فانه بلا ريب قليل الادراك والتمييز . فما هي الاشارات التي يجب ان يلاحظها كي يدرك بها موقف الاخرين الحقيقي تجاهه ؟ ما هي علامات الادراك الاجتماعي ؟ او بعبارة اوضح ما هي المنبهات التي يكيف سلوكه على حسبها عندما يكون سلوكه صحيحاً؟

ان اول هذه العلامات والرموز هي حركات الوجه او الانفعالات التي تظهر على وجوه الاخرين اثناء محادثتهم او قيامنا بعمل امامهم . اذا خاطبت احدهم بالتلفون مثلا فانك لا تستطيع ان تدرك معنى حديثه بسرعة كما لو كنت تخاطبه وجهاً لوجه ، لانك لا تستطيع ان ترى الانفعالات الوجهية التي هي جزء من حديثه ، اي جزء من تعبيره عما يجول في نفسه ويريد ان يقوله لك ، من عاطفة او من فكرة . وان الحركات والاشارات التي تظهر على وجوه الممثلين تساعدنا كثيراً في تفهم ما يعبرون عنه ، ويتوقف نجاح الممثل الى حد بعيد على التغيرات الدقيقة في حركات وجهه التي تناسب المقام

والشائع في تفسير هذه الحركات هو ان العينين تغمضان قليلًا في حالتي الحزن والفرح ، وتفتحان كثيراً عند التعجب او الخوف او الغضب كما انهما تلمعان في الغضب ايضاً ، وان الشفتين ترتجفان عند الحزن وتفتحان عند التعجب او الخوف وتعوجان قليلًا عند الاشمئزاز ، وتقفلان عند الغضب للدلالة على العزم والتصميم ، او قد تمتدان الى الامام او ترجعان الى الوراء كما هي الحال في اغلب الاحيان ، فتظهر الاسنان مطبوقة على بعضها ، ويحمر الوجه عند الغضب او الخجل الخ .

وهذه الرموز لا يلاحظها الكبار البالغون فقط بل يلحظها كذلك الاطفال الصغار ، واظن ان كثيرين من الذين لهم اطفال صغار يعرفون باختبارهم الخاص ان الطفل يدرك بسرعة ما اذا كان الوالدون غاضبين عليه او فرحين به ، وذلك من تلاميح وجوههم او نبرات اصواتهم .

ضرورة درس سيكولوجية الجماعة: ان اكتشافات الانسان في الحقول العلمية المختلفة في درس الطبيعة قد فاقت كثيراً اكتشافاته في موضوع نفسه . ومن العيوب التي يرمي بها البعض المدنية الغربية انها مدنية ميكانيكية انصرفت الى الاختراعات الآلية فقطعت فيها شوطاً بعيداً واهملت درس البشر . وقد سأل بعض الكتاب هل تعتبر مدنية اوربا ناجحة او فاشلة ؟ وكان الجواب على سؤاله بنعم ولا ، في آن واحد . فهي ناجحة اذا قيست بالتقدم في العالم المادي اي العلمي ، وفاشلة اذا قيست بالتقدم الاجتماعي ، اي الناحية السياسية والاقتصادية . ولذا اهتم العلماء مؤخراً بدرس الناحية السيكولوجية والناحية الاجتماعية في حياة البشر واعمالهم ، لا درساً نظريا فحسب ، بل درساً علمياً تجريبياً ، مستعينين بما توصلوا اليه في حقول العلم الاخرى واستخدموا لذلك الطريقة العلمية ، وطريقة الملاحظة والتجربة

قد يعجب القارئ كيف يمكن ان يدرس المجتمع درساً علمياً ، ولكن انما نعني بالمجتمع ، الانسان ، وانما نقصد بالانسان سلوكه ، ويتكوّن السلوك من منبه او دافع الى العمل ومن رجع او جواب لذلك المنبه.

ولو حللنا سلوك الانسان لوجدناه يتكوّن من عنصرين رئيسين : العنصر الاول هو المنبه او الدافع الذي يبعثنا الى القيام بالعمل ، والعنصر الثاني هو الرجع او الجواب للمنبه . ويختلف سلوك المرء حين يكون في حضرة اناس آخرين ، عن سلوكه حين يكون منفرداً ، او في محيط مادي ، اختلافاً بيناً ، ففي الحالة الاولى يصبح اكثر تعقداً ، لان الانسان في الحالة الثانية ، اي حين يكون منفرداً ، يكيف نفسه حسب محيطه المادي ويكيف محيطه له فقط ، اما في الحالة الاولى فانه يجد نفسه امام اناس آخرين ، فعليه ان يكيف نفسه عليهم ، وان يكيفوا أنفسهم عليه ، وعلى الجميع ان يكيفوا انفسهم حسب محيطهم ايضا .

فما هي المنبهات او المؤثرات التي تؤثر على سلوك المرء في المجتمع وتقرره لدرجة كبيرة ؟

اولا : تأثير المشاهدين او المستمعين في سلوك المرء : يستطيع كل منا ان يلاحظ بسهولة ان الارتباك والاضطراب يظهران احيانا في اعمال المرء حين يقوم بها امام الآخرين ، ويمنعانه من اجادتها ، كما نلاحظ ايضا ان الحماس والنشاط يظهران في اعماله في احيان اخرى . وهنالك بعض الناس الذين لا يستطيعون ان يجيدوا اعمالهم الا اذا كان ثمة من يشاهدهم او يسمعهم .

يحكى ان خطيبا مشهوراً دعي لالقاء حديث للمرة الاولى من احدى محطات الاذاعة ، فلما دخل غرفة الاذاعة لم يتمكن من الالقاء لانه لم يجد من يراه او يسمعه . وقد دلت التجارب التي قام بها علماء النفس على ان بعض الناس تقل دقتهم في العمل وتزداد سرعتهم فيه اذا كان هنالك من يشاهدهم ، وان البعض الآخر تزداد دقتهم وتقل سرعتهم ، وهنالك ايضاً من يزداد حماسهم ونشاطهم مدفوعين بدافع اثبات الذات وحب الظهور امام الناس واحراز اعجابهم اذا كانوا يسمعون اقوالهم او يشاهدون اعمالهم .

ثانيا : تأثير المشتركين بالعمل الواحد بعضهم على بعض : انه لمن المؤكد ان اشتراك جماعة من الناس في القيام بعمل واحد يبعث الحماس والنشاط في الافراد القائمين به ، حتى ان لم تكن بينهم مباراة ، بشرط ان لا يعوق احدهم الآخر . وقد قام المشتغلون بهذا الحقل بتجارب كثيرة على جماعات من الناس والطلاب في المدارس ، فجعلوا البعض منهم يعملون منفردين في غرفة واحدة بعد ان اكدوا لهم انهم لا ينوون البتة ان يقارنوا بين نتائج اعمالهم فيما بعد . فكانت النتائج في جميع الاعمال التي قام بها الافراد مجتمعين اكثر دقة واعظم سرعة وسهولة من الاعمال التي قام بها الافراد منفردين ، اي كل واحد في غرفته ، مما دل على ان للاشتراك في القيام بالعمل الواحد تأثيراً كبيراً في اثارة نشاط العاملين ودفعهم الى العمل ، بشرط ان لا يعوق بعضهم بعضا .

جامعة بيروت الاميركية ــ فريد مجاعد

الموقف الحربى فى شهر

تميز الموقف الحربي خلال شهر كانون الاول من العام ١٩٤١ بثلاثة احداث هامة :

١ – الهجوم السوفياتي المضاد على مجمل الجبهة

٢ – الهجوم البريطاني على ليبيا

٣ – تدخل اليابان والولايات المتحدة الاميركية في النزاع

الهجوم السوفياتى المضاد

كان الالمان قد طبقوا في روسيا خطة الهجوم الخاطف او الحرب الصاعقة ، فهاجموا الجيوش السوفياتية في نقاط اللحمة اي حيثما يتصل بعضها ببعض وتمكنوا من الفصل بينها بطريقة التسلل المسماة « اصابع القفاز » .

وقد استخدم الالمان في هجومهم الخاطف الوف الوحدات المصفحة والطائرات ، ونجحوا في حصر كتلة جيوش المارشال فوروشيلوف في لينغراد وفي مطاردة جيش المارشال تيموشنكو حتى ابواب موسكو (قوات هذه العملية قوات الجنرال غودريان المصفحة) . اما جيش المارشال بوديني الذي وكل اليه الدفاع عن القسم الجنوبي من الجبهة فقد اضطر الى التراجع حتى روستوف والتخلي عن مراكزه الهامة على ساحل البحر الاسود .

وخلافاً لما زعمه الالمان فقد انكفأ معظم الجيوش الروسية بنظام مخلفة وراءها الخراب والفراغ .

وقد بدأ الهجوم الروسي المضاد بطرد الالمان من روستوف في وقت كان الضغط الالماني على موسكو آخذاً بالازدياد . وقد وضع خطة الهجوم على روستوف المارشال تيموشنكو الذي عهد اليه اعادة تنظيم الجيش الاحمر في الجنوب .

استردت روستوف بعمل سريع حاسم ، ومنها والى جيش تيموشنكو زحفه باتجاه حوض نهر دوناتز حيث باشر انتزاع المراكز ذات الاهمية الستراتجية من الالمان والطليان .

وباسترداد روستوف ابتعد الخطر عن بترول القوقاس الذي اصبح الالمان بامس الحاجة اليه نظراً لاستخدامهم الوحدات الآلية بكثرة ، كما ابتعد عن بلدان الشرق الاوسط التي كان الالمان يرمون من وراء احتلالها الى الحؤول دون وصول العتاد الاميركي الى روسيا بطريق ايران .

واضطرت القيادة الالمانية امام الكرة الناجحة التي قام بها جيش تيموشنكو الى سحب قوات كبيرة من المناطق الوسطى والشمالية لتعزيز جيش الجنرال فون كليست في الجنوب ، فانتهز الروس الفرصة فشنوا هجوماً عاماً على جبهة طولها ٢٠٠٠ كيلومتر ، ناهكين قوات الخصم حائلين بينها وبين التجمع بقصد التخفيف من حدة الهجوم المضاد .

الهجوم البريطانى فى ليبيا

في ليبيا حشد الالمان قوات كبيرة استعداداً للقيام بعمل حاسم ضد قناة السويس . وفي الوقت نفسه كانت استعداداتهم ناشطة في البلقان ، وهو قطب الدائرة في مشاريع هتلر الحربية فعملوا على تحسين المواصلات وتوسيع القواعد البحرية والجوية وقاموا في بحر ايجه بعدة مناورات وتجارب كان الغرض منها التحقق من نجاح انزال الجيوش بحراً وجواً عندما يحين الوقت المناسب لعملية من هذا النوع .

لكن القيادة البريطانية في الشرق الاوسط افسدت على الالمان خططهم بان سبقتهم الى العمل . فهاجمت ليبيا قوات انكليزية وامبراطورية وفصائل فرنسية وبولونية بقيادة الجنرال كننغهام اولاً ، ثم بقيادة الجنرال ريتشي .

لم تسلك القوات المهاجمة الطريق الساحلي ولم تتعرض للسلوم بل تركت امامها عدداً من الفصائل المصفحة لتشغل قوات المحور ، بينما اتجهت الطوابير المصفحة جنوباً ثم التفت حول الالمان والطليان وحصرتهم ضمن المثلث الذي يتألف من السلوم – طبرق – حصن كابوتزو .

ولم يكن الغرض من هذه الخطة احتلال القيروان وطرابلس الغرب فحسب ، بل كان ايضاً تحطيم مصفحات الخصم بارغامه على القتال ، وازالة الخطر الذي يهدد الجناح الايسر لجيش الحلفاء في الشرق الاوسط .

وقد فطن الجنرال رومل الى ما يراد بجيشه ، فنجح في الافلات من التطويق وفي الابتعاد ببقايا قواته نحو طرابلس الغرب حيث سيحاول انشاء جبهة جديدة تقف في وجه القوات المتحالفة .

وقد وصلت الدوريات البريطانية خلال الاسبوع الاخير من

كانون الاول الى ساحل خليج سرته غربي بنغازي ، وانصرفت فصائل انكليزية وامبراطورية الى تنظيف القيروان من جيوب المقاومة المحورية المبعثرة هنا وهناك .

والجدير بالذكر ان القوات البريطانية والحليفة احرزت هذه النتائج الباهرة في اربعين يوما فقط .

الاعتداء الياباني

في ليل ٧ – ٨ كانون الاول ، بينما كانت المفاوضات اليابانية الاميركية دائرة ، اقدم الطيران والبحرية اليابانيان على مهاجمة جزر هاواي الاميركية واغرقا وحدتين بحريتين في قاعدة « بيرل هاربور » .

وفي الوقت نفسه كانت قوات يابانية تهاجم ماليزيا البريطانية من البحر والجو ، وقوات اخرى تدخل سيام التي ما لبثت ان القت السلاح وسمحت لليابانيين باستخدام قواعدها ضد الحلفاء .

وهاجم اليابانيون صباح الثامن من كانون الاول جزيرة هونغ كونغ التي اضطرت الى القاء السلاح بعد مقاومة استمرت ١٧ يوما وانزلت بحريتهم وطائراتهم قوات في جزر الفلبين وفي جزيرتي غوام وداق الاميركيتين .

وقد دل تطور الهجوم الياباني بالشكل المتقدم على ان المهاجمين يسعون الى ازالة الخطر الذي يهدد مشاريعهم في البحار الجنوبية نعني بها الممتلكات الانكليزية والاميركية في بحر الصين ، حتى اذا تم لهم ذلك قاموا بعمل حاسم ضد جزر الهند الهولندية طمعا بالاستيلاء على ثرواتها الطبيعية التي تتيح لهم مواصلة النضال

ويتعين على اليابانيين ان يتوصلوا الى تحقيق اغراضهم المتقدمة قبل ان يحزم الحلفاء امرهم ويقوموا بالعمل المشترك الذي رسمت خطوطه الكبرى في واشنطن .

والمجمع عليه في اوساط الخبراء العسكريين ان هجوماً روسياً على اليابان محتمل الحصول بين الساعة والاخرى وان في وسع الطيران السوفياتي ان يشل الصناعة اليابانية ويزرع الدمار في المدن المكتظة بالسكان .

واذا اتفق ان تصادم الاسطولان الاميركي والياباني في المحيط الهادي. فلن تقوى اليابان مهما يكن من نتيجة الاصطدام ، على تضميد جراحها لانها لا تملك الوسائل اللازمة لذلك

*

ومجمل القول ان مركز الحلفاء في مطلع العام ١٩٤٢ يبدو مرضياً جداً بالرغم من دخول اليابان الحرب . فالتقدم الروسي يبعد الخطر الالماني عن القوقاس وبالتالي عن بلدان الشرق الاوسط . اما احتلال القيروان فانه يجعل ايطاليا عرضة لغزوة تستهدف سواحلها الجنوبية وتقوم من طرابلس الغرب وقد بدأ موسوليني يوجس خيفة من هذا الاحتلال وقام « فرجينيو غايدا » يحذر الشعب الايطالي وينبهه الى الخطر نفسه . ويلوح ان الغرض من حشد مئات الطائرات والدبابات وآلاف الجنود والمظليين في صقليه ليس ارسال النجدات الى الجنرال روميل بل هو يرمي الى تأمين الدفاع عن جنوبي ايطاليا .

في الشرق الاقصى يصرح الحلفاء بانهم واثقون من مقدرتهم على حماية جزر الهند الهولندية – وهي صلة الوصل بين ماليزيا واوستراليا . وذلك بالرغم من خسارة هونغ كونغ ومن تقدم اليابانيين في ماليزيا والفلبين ، ومن انزالهم الجيوش في بورنيو . ولا شك في ان التهديد الذي يوجهه الجيش الصيني الى جناح الجيش الياباني ، والسيف الذي يسلطه الروس فوق رؤوس اليابانيين على حدود منشوريا بالاضافة الى تفوق الاساطيل المتحالفة ، لا شك في ان هذه العناصر مجتمعة لن تلبث ان تظهر لساسة طوكيو الغلطة التي وقعوا فيها بمهاجمتهم الديموقراطيات .

اما المانيا فان سيفها لم يفل بعد ، فهي قادرة بالرغم من خروج حليفتها ايطاليا عملياً من الساحة ، على القيام بهجمات جديدة في الربيع الآتي ، وهي هجمات لا يجوز اسقاطها من الحساب وان يكن الحلفاء مستعدين لها اتم الاستعداد .

وقد يهاجم الالمان في الربيع جبل طارق مارين باسبانيا ليخرجوا الانكليز من الحوض الغربي للبحر المتوسط واستباق المشاريع الاميركية في المحيط الاطلسي ، وقد يهاجمون جزيرة ايرلندا ليقتربوا من الشواطئ الاميركية

وليس مستبعداً ان يقوم الالمان بعمل ما ضد تركيا . وتدل التعبئة البلغارية والنجدات الالمانية التي تفد تباعاً الى تراقيا ورومانيا على ان شيئاً يعد في البلقان . .

ولكن لا ننس ان الحلفاء ساهرون هنا ايضا ، فلن يؤخذوا على حين غرة . ولا يجهل الالمان ان الاتراك لن يكونوا وحدهم في الميدان فهناك ايضا البريطانيون وحلفاؤهم وان كل مغامرة يقومون بها باتجاه الشرق الاوسط ستكلفهم غاليا جداً حتى لو القوا بوسائلهم كلها في الميزان بما فيها القيادة العامة التي يتولاها فوهررهم .

بالحديد والنــــار

بهذا العنوان القى السر روبرت فانزيتارت سلسلة احاديث في لندن نلخصها للقراء فيما يلي :

اذا كان القدر قد شاء ان يبتلي ابناء هذا العصر بحربين موجعين فما ذلك الا لانهم لم يتفهموا طباع الشعب الالماني وغرائزه الكامنة ونزعاته الخفية . وحكمة السلم التي ستعقب هذه الحرب يجب ان تستخرج من الحرب الماضية ، ليعمل العالم ساعة النصر على اتقاء اخطاء الماضي واتخاذ التدابير الحازمة الرشيدة التي تقضي على جرثومة الشر في نواتها فينجو البشر من حرب ثالثة تكون القاضية على ما سيبقى، بعد هذه المجزرة القائمة اليوم ، من معالم المدنية .

واذا اشت بعد هذا النضال دولة تدعى المانيا فيجب ، على الاقل ، ان تكون مختلفة عن المانيا التي عرفناها وعرفها التاريخ من قبلنا .

ويحسن بنا ان نذكر للقراء في سطور قليلة بعض احداث تاريخية مطوية تتجلى فيها النزعات الالمانية الحقيقية التي كانت وما تزال خطراً على السلم العالمي . فالالماني كان حتى اليوم خميرة الشر والحرب والخراب في اوروبا . واوروبا هي الفتيل اللاهب الذي ينقل النار الى المشرقين والمغربين . فاذا اراد العالم سلما طويلة وهنيئة في المستقبل القريب والبعيد ، فلا بدّ له بعد النصر من تكييف الغريزة الالمانية ونفخ روح الانسانية والحب في هذا الشعب المغير او تقليم مخالبه وتحطيم انيابه حتى يصبح عاجزاً عن النهش والافتراس .

وليس هتلر في تاريخ الشعب الالماني بالحدث العارض او الشخصية الشاذة الجامحة . فهو مثال رمزي لنتاج التفكير الجرماني والروح التوتوني اللذين كانا منذ دون التاريخ لهما عملا ، لا يعرفان سوى الغزو والسلب واللصوصية .

وقد استغلت المانيا دائماً تساهل خصومها وحلمهم ، فكانت كلما صرعها الخصم مرة وعفّ عن ان يسحقها ، تعود خلسة الى شحذ سيوف الغدر وسن خناجر الاغتيال . فالانكليز هم الذين انقذوا فردريك الثاني من الهزيمة والافلاس ، ولولا روسيا لما قام لالمانيا قائمة بعد معركة « ايانا » .

وعندما انتهت الحرب الكبرى سنة ١٩١٨ قام نفر من ذوي القلوب الطيبة والشعور المرهف الساذج يشفقون عليها ويقرضونها المال اللازم لانعاشها فكان ان استخدمت هذا المال اصنع السلاح وتخزين آلات البطش والتدمير .

والالماني اذا نظر اليه كفرد قد يتساوى مع سائر البشر في العقل والعاطفة والعلم والفن ، لكنه متى اصبح امة مجموعة يصبح خطراً هداماً كقطرات الغيث تروي الحقول اذا تساقطت رزازاً مبعثراً ، وتصبح سيلا جارفاً ، وشلالا ثائراً اذا تجمعت على ثدي اكمة او في جوف واد سحيق .

فلو تمكن الالماني من ان يشعل كل سنة حرباً جديدة لما تردد، واذا احجم فلعدم وجود فريسة سانحة ينقض عليها . وقد استيقظت سجيته الشريرة وغريزته الدامية سنة ١٩١٤ فامعن في النهب والتقتيل والتخريب اثناء احتلال بلجيكا وشمالي فرنسا . وانتفضت غريزة الشر في عروقه مؤخراً عند غزوه بولونيا ويوغوسلافيا وبلاد السكنديناف وفرنسا واليونان وروسيا فأمعن في الاجرام والبطش امعاناً اثيماً فاجراً .

فاذا اراد العالم في المستقبل ان يتذوق لذة الحياة في السلام والطمأنينة ، فعليه ان يعمل بجميع الوسائل لتطهير العقلية الالمانية من جرثومة الحرب ووباء النهب والسلب .

قال تاسيت : « ان الجرمانيين يكرهون السلم ويمقتون السلام ويعتبرون السعي وراء الرزق بالكد والعمل امراً شائناً لا يليق بشعب قوي مثلهم . فعلى سائر الشعوب الاشتغال بالانتاج ولهم اعمال القرصنة والنهب والسلب حقا مباحا شرعيا . »

من لا يذكر دستور بسمرك مؤسس الاتحاد الجرماني وقد لخصه بعبارة وجيزة فقال : « دواء واحد يشفي جميع الامراض ويحسم كل خلاف ونزاع ؟ » وهذا معناه ان السياسة والمفاوضات والحقوق الدولية خرافات يجب ان تداس وتمحى بالنار والحديد .

قال فروسار : ان الشعب الالماني لا يعرف معنى الاحساس والعاطفة فهو يبطش بكل ما يقع بين مخالبه : بالسجين ، باسير الحرب ، بالرهينة ، بعابر الطريق .

فالتاريخ ، تاريخ هذا الشعب القرصان يعيد نفسه اليوم ويثبت للعالم ان المانيا كانت وما تزال تدين بدين القوة وان بقاءها في خريطة العالم كدولة كبرى خطر دائم على السلم العالمي .

والجرائم التي ارتكبها فردريك الاول وفردريك الثاني نحو شعوب اوروبا الوسطى المستضعفة يعيدها هتلر في العالم قاطبة .

الاحداث السياسية والحربية في عامين (تتمة)

البلقان والشرق الاقصى

وكأن الانكسار الفرنسي والتخوف من الاستسلام الانكليزي فاجأ ستالين فراح يتحوط للامر . وفي ٢٧ حزيران وجه انذاراً الى الملك كارول الروماني الذي كان قد ارتمى بين ذراعي الحرس الحديدي وعدل عن الضمان البريطاني . وبعد ايام احتل بيسارابيا وبوكوفين . وفي آخر تموز ادخل الدول البلطيقية ضمن النطاق الروسي . وفي اول آب لفظ مولوتوف خطاباً اكد فيه حياد موسكو ضمن حدود « المصالح الروسية » .

وراح كل يسعى لنفسه تحوطاً لتسوية ما تنال منها المانيا حصة الاسد . وكان هتلر يرغب بصيانة الهدوء في البلقان وحوض المتوسط . على ان الجنرال فرانكو اعلن مطالبه من جبل طارق ومراكش الفرنسية ، ورؤيت المجر ورومانيا وبلغاريا كأن بعضها يهم بالانقضاض على بعض ، فجمعها هتلر في مونيخ وهدأ خواطرها موقتاً .

وفي الوقت نفسه بدأ الشرق الاقصى كأنه مهدد بالحريق . فقد شنت اليابان حملة عنيفة على انكلترا واعلنت حكومتها تعاونها مع المحور ورغبتها في التقرب من موسكو واعلنت ايضاً عزمها على انشاء « نظام جديد » في الشرق الاقصى يشمل الهند الصينية والهند الهولاندية وجزر الفيلبين . فتحركت حكومة الولايات المتحدة في الحال ووضعت منذ مطلع آب الحظر على صادرات البترول . وتمكن كوردل هول في هافانا من جمع الجمهوريات اللاتينية الاميركانية لتقرير القيام بعمل تضامني في حال وقوع تهديد على سلامة جميع اراضي القارة الاميركانية بما فيها ممتلكات فرنسا وانكلترا في اميركا . وكان ان اتفاقية شيكاغو عينت روزفلت مرشحاً للحزب الديموقراطي في الانتخابات الرئيسية . فوجه اليه الرئيس رسالة شكر قال فيها ان العالم يجابه اليوم اعظم معضلة عرفها التاريخ وانه اختار لنفسه الطريق الملائم وهو « حماية الحضارة من الديكتاتوريين والحرية من الاستعباد » .

وفي اثناء ذلك كانت بريطانيا المنكمشة على نفسها تحصر انتباهها وقوتها في النقاط الحيوية وفي السويس وجبل طارق وسوريا .

معركة لندن

كسبت انكلترا ستة اسابيع صرفتها في تعزيز مراكزها الدفاعية البرية والبحرية والجوية . وجرب هتلر من جهته عدته الحربية ودرب رجاله وقرر خطته . وفي ١٨ ايلول بدأت معركة لندن ، وبقيت عدة اسابيع تستمر ليل نهار توطئة للغزوة . وكانت خطة هتلر ترمي الى ارهاب الشعب الانكليزي ولا سيما شعب العاصمة وقطع مواصلاته ومؤنه . وقد افسحت هذه الخطة السبيل الى نشوب اكبر معارك جوية عرفها تاريخ العالم وانتهت بفشل كلف الطيران الالماني كثيراً من الرجال والعتاد . فقد قطع سلاح الطيران الملكي الدليل على تفوقه وحافظ على قوته الهجومية التي ظهرت باجلى مظاهرها في ضرب المطارات ومرافئ الغزوة وطرق المواصلات في بلاد العدو وفي البلدان المحتلة .

انكلترا تصمد

وبقيت المعنويات البريطانية سليمة بالرغم من الاضرار والخسائر الجسيمة التي مني بها الشعب البريطاني . اما الغزوة التي هيئت لها جميع الاسباب والتي حاولها الالمان ، على ما قيل ، فلم تقع . وقد قال سكان دوفر : « ان هتلر اخطأ الباخرة » . والواقع ان الاعجوبة البريطانية قد تمت فهنأ تشرشل تلك القبضة من رجال سلاح الطيران الملكي ، التي انقذت جموعاً غفيرة .

وفي ذلك الحين عقدت الولايات المتحدة المتحمسة للمقاومة البريطانية والشاعرة بالخطر الذي يهددها اتفاقاً مع الحكومة البريطانية تخلت لها بموجبه عن خمسين مدمرة مقابل تأجيرها قواعد بحرية وجوية على طول الاطلنطيكي . وفي الوقت نفسه الفت مع كندا لجنة دفاع مختلطة . وفي اواخر آب اتخذ مجلس الشيوخ الاميركاني تدبيراً يعد بمثابة ثورة حقيقية في آداب البلاد وفي انظمتها ، وهذا التدبير هو

تقرير الخدمة العسكرية الاجبارية .

وسرعان ما اصبحت لندن ، تحت القنابل وفي وسط النار ، رمز المقاومـة وجبهتها . وتحفل التشيك والبولونيون والنروجيون والهولانديون والبلجيكيون حول بريطانيا يستعيدون قواهم . وانضمت التشاد والكامرون وغابون وافريقيا الاستوائية الفرنسية الى الجنرال ده غول الذي اعترفت به الحكومة البريطانية كرئيس للقوات الفرنسية الحرة .

ميثاق برلين

ومنذ ذلك الحين راح هتلر يقوم بنشاط ديبلوماسي كبير وانطلق في مشروع دعاية واسع النطاق . ولا يعني ذلك انه عدل عن كل امل في قهر انكلترا او عن خطط غزوته ، بل اراد ان يخفي فشله وقلق اوربا وان يخيف الولايات المتحدة ويحتفظ بروسيا ويجزىء القوى البريطانية . ففي آخر آب شرع بتقسيم رومانيا فاعطى دبروجه للبلغار وثلثي ترانسيلفانيا للمجر ، وطرد الملك كارول باسلوب شنيع فيما ايطاليا تهدد اليونان ومصر بعد ان استولت على الصومال البريطاني . وفي ذلك الوقت اصبح القسم المحتل من بولونيا جزءاً من الارض الالمانية . واتخذت جميع التدابير لادخال بوهيميا ومورافيا في اتحاد جمركي مع الريخ . واخذ القادة النازيون في نروج وبلجيكا وهولندا وفرنسا يلوحون بالفوائد الاقتصادية التي تجنيها هذه البلدان من خضوعها لالمانيا .

ولكي يزيل هتلر شكوك من بقي في نفسه فضل للشك من جراء الفشل الالماني في معركـة انكلترا عمد الى عقد محالفة ثلاثية انضمت فيها اليابان الى المحور . وغاية هذه المحالفة اقتسام العالم فتحتفظ المانيا وايطاليا باوربا وتنال اليابان الشرق الاقصى .

اهداف المحالفة

انقادت اليابان الى هذه السياسة الهتلرية التي كانت تحلو المتطرفين في طوكيو ، وهؤلاء المتطرفون ما برحوا منذ انهيار فرنسا يبثون سياستهم الدعوة في البلاد وفي الخارج حتى قدر لهم ان يقيموا في طوكيو نفسها نظاماً ديكتاتورياً لا يحتفظ للسلطة الامبراطورية بسوى المظهر . وفرضوا على حكومة فيشي اتفاق ٢٢ ايلول الذي دفع اليهم بالهند الصينية ، واخذوا يضغطون على سيام ويتبجحون بقولهم انهم سيحملون شنغ كـاي شك على عقد معاهدة تضع حـداً للحرب الصينية ، ولكن موقف الولايات المتحدة كان يقلق خواطرهم كموقف روسيا .

وصفوة القول ان المحالفة كانت مصوبة على الولايات المتحدة وروسيا معا . وكان هتلر يأمل من وجود اليابان في هـذه المحالفة ان يخيف الولايات المتحدة ويؤخر تسلحها ويوقف تموين انكلترا تحت وطأة التهديد بامتداد الحرب الى المحيط الهادى . وكان الى ذلك يريد استخدام اليابان لقمع الروس خوفاً مـن قيام حرب في جبهتين . ومنذ عقد المعاهدة الجرمانية الروسية توغلت روسيا في اوربا الوسطى والشرقية واستعادت نفوذها الى جانب الشعوب السلافية . وبديهي ان لهتلر مطامحه في اوربا الوسطى ولا سيما في رومانيا (التي دفع جيوشه الى احتلالها في مطلع تشرين الاول) وفي البحر الاسود . على ان هتلر وستالين اللذين لم يكن لاي منهما اية ثقة بالآخر كانا يؤخران ما امكن يوم « التفاهم النهائي » وتصفية الحساب .

اميركا تجاه الخطر

قابلت واشنطون ميثاق برلين الثلاثي برد فعل هادىء وقوي معا ، وعلى تهديد اليابان ردت بقولها انها متأهبة لجميع الطوارىء وانها تشجب زعم اليابان اقامة « نظام جديد » في الشرق الاقصى . ومنعت بيع الطيارات وتصدير الحديـد والفولاذ وواصلت المباحثات مع انكلترا واوستراليا حول تنظيم الدفاع المشترك في الباسيفيكي . وقد صرح الرئيس روزفلت بقوله : « ان الولايات المتحدة عازمة على الا تنحرف عن الطريق التي اختارتها وانها مستعدة لمجابهة الاعتداء الديكتاتوري بكل مـا تملكه القارة الاميركانية من وسائل الدفاع

وهكذا فشلت مناورة هتلر لتخويف اميركا . وفي ١٨ من تشرين الاول قررت الحكومة البريطانية بالاتفاق التام مع الحكومة الاميركانية اعادة فتح طريق برمانيا واعطت الحكومة الاميركانية شانغ كاي شك قرضاً ما لبثت الحكومة البريطانية ان اعطته مثله .

النظام الجديد

وانصرف هتلر الى اقامة النظام الجديد في اوربا . وهذا النظام لا يختلف عن سائر خططه فهو اداة صلح واداة حرب في آن واحد . وقد قيل للشعوب الاوربية المستعبدة ان المانيا لا تشخص الى سوى هدف واحد هو تحريرها من ربقة السيطرة الانكليزية والرأسمالية اليهودية وجمعها في نظام اتحادي واسع النطاق . وحاولت الدعاية اقناع هذه الشعوب بان الوطنية الاشتراكية هي ثورة بروليتارية . ولم تكتف هذه الدعاية عن القول للانكليز والاميركان بان اوربا متحدة وراء المانيا ولم يبق لانكلترا الا ان تستسلم . ومن اقوال هذه الدعاية « ان قارة بكاملها تحارب جزيرة » وان الفوهرر سينجح حيث فشل نابوليون . وفي هذه الحرب الجديدة على انكلترا راح هتلر يسعى لحمل اوربا الغربية واوربا الشرقية على خوضها . ولاجل ذلك اجتمع الديكتاتوران على البرينر (تشرين الاول .) وعلى الاثر استولى الفوهرر على رومانيا بحجة تدريب جيشها وحمايتها من اي اعتداء . واخذ « السياح » والخبيرون الالمان يتقاطرون على المدن الكبرى في بلغاريا ، وعمد هتلر الى تدعيم بعض الاتجاهات الانفصالية في يوغسلافيا ، وفرض على الحكومة معاهدة تجارية حولت يوغسلافيا الى اقطاعة اقتصادية . وما فرضته على يوغسلافيا فرضته على المجر .

هتلر وفرنسا

وتحول هتلر شطر الغرب فشوهد في باريس وفي مونتوار وفي هنداي . وفي آخر تشرين الاول اجتمع بـلافال وفرانكو والمرشال بيتان . وكان مسيو بودوان يوصي فيشي بالتعاون الولائي مع المنتصر ، وبعد اجتماع الفوهرر والمرشال وافق مجلس الوزراء بالاجماع على مبدأ التعاون الفرنسي الالماني . وشاعت انباء صلح يسفر عنها ترك فرنسا قسماً من ممتلكاتها في افريقيا اذ كان الديكتاتوران قد قررا ان تدخل افريقيا بصفتها تمديداً لاوربا في « نظامها الجديد . » ولا يجهل احد المطامع الايطالية والاسبانية بالممتلكات الفرنسية في هذا الشطر من العالم . وفي فلورنسا اوقف هتلر شريكه على مباحثاته مع الاسبان والفرنسيين . وفي ذلك الحين اسندت وزارة الشؤون الخارجية الى لافال في فرنسا ، وسيرانو سونر في اسبانيا . وعقب اجتماع فلورنسا اذاعت كل من برلين وروما مذكرة تقول فيها ان فرنسا قد خسرت الحرب فيجب عليها ان تدفع . وفي ١٠ من تشرين الاول اوضح المرشال بيتان للشعب الفرنسي انه قبل سلوك طريق التعاون والنظام الاوربي الجديد .

المغامرة الايطالية وعواقبها

وفي اليوم الذي اجتمع فيه الديكتاتوران في فلورنسا هاجم موسوليني اليونان (٢٨ تشرين الاول .) وقد اعتمد في هذه العملية تطبيق الكلابة التي قد تسمح بتهديد تركيا وقنال السويس في آن واحد . وكان منتظراً ان يقوم المرشال غرازياني بهجوم في ليبيا . فبعد ان عجز هتلر عن الوصول الى جزيرة انكلترا راح يسعى الى ضربها في مرافقها الحيوية ، في الطرف الاقصى الشرقي من حوض المتوسط وربما في الطرف الغربي الاقصى اذ شوهد بين بوردو وبايون احتشادات عسكرية هامة ترمي ولا شك الى القيام بعمل ضد جبل طارق ومراكش .

ولكن اليونان احسنت المقاومة بمساعدة بريطانيا التي تحتل القواعد البحرية والجوية اللازمة فصدت المجتاح وطردته من ارضها، وبعد معارك باهرة نقلت الحرب الى الارض الالبانية التي يحتلها الجيش الايطالي . وكانت تركيا — مع حيادها — تحمي الضلع الايمن من اليونان بتمركزها القوي في تراقيا .

مصاعب في اوربا

وفي ١٢ من تشرين الثاني وصل مولوتوف الى عاصمة الريخ يصحبه خمسون خبيراً اقتصاديا وعاد الى موسكو من غير ان ينضم الى المحالفة

الثلاثية او الى النظام الجديد . وقبل ذهابه الى موسكو ولدى عودته منها نوهت الصحف الروسية من جديد بحياد الاتحاد السوفيتي . وانتقل هتلر الى فيينا وحمل ابواقه على اعلان انضمام دول جديدة الى المحالفة الثلاثية . ولكن لم ينضم من هذه الدول الا المجر ورومانيا وسلوفاكيا، في حين كانت اسبانيا تفاوض انكلترا في عقد اتفاق مالي واقتصادي . اما المرشال بيتان الذي احل فلاندان محل لافال فقد صرح بلسان عملائه الديبلوماسيين وسواهم انه لن يقبل اعطاء اي امتياز ينافي الشرف . ذلك ان انكلترا كانت في تلك الاثناء قد احرزت انتصاراً جديداً على الدوتشي فقد طرد جيش غرازياني من مصر كما طرد جيش سودو من اليونان . وهكذا فشلت خطة الكلابة نهائياً وابتعد الخطر عن السويس وعن المضايق واستقال المرشال بادوليو في ايطاليا

تجديد انتخاب روزفلت — والمساعدة الاميركانية

كان هتلر في جميع مساعيه واعماله دائم التخوف من الولايات المتحدة اذ لم يغرب عنه انه سيخسر الحرب حتماً اذا نالت انكلترا من الولايات المتحدة المساعدة المادية التي تحتاج اليها . او بكلمة اذا اضيف المصنع الاميركاني الى المصنع الانكليزي . ولا يجهل هتلر واعوانه ان الظفر في هذه الحرب عائد حتماً الى الذين يملكون القسط الاكبر من العتاد والمواد الاولية ويشرفون على حرية البحار . وهكذا رأينا الدعاية الالمانية تبذل قصاراها لتحويل الولايات المتحدة عن تأدية مساعدتها الى بريطانيا .

وفي ٥ من تشرين الثاني وجه انتخاب روزفلت ضربة قاضية الى الخطة الالمانية هذه . فروزفلت يمثل في نظر مواطنيه والعالم فكرة حرية الشعوب والديموقراطية . وقد انتهى الرئيس الاميركاني الى اقناع الاكثرية الكبرى من مواطنيه بان بريطانيا تدافع في جهادها ضد المانيا عن سلامة الولايات المتحدة وعن مثلها العليا وتصون قضية الحضارة من عنت الطغيان النازي والوحشية النازية .

ولما طرحت الحكومة البريطانية امام الرأي العام الاميركاني والحكومة الاميركانية قضية المساعدة التي تنتظرها من الولايات المتحدة اجاب روزفلت بانه سيتقدم الى الكونغرس في اوائل كانون الثاني خطة تقضي الى تأدية المساعدة الكليه ضد الحرب الكلية ، فكل ما تحتاج اليه انكلترا من العتاد الحربي في المستقبل تسلمه اليها الولايات المتحدة بطريق القرض والتأجير .

كتب مستر والتر ليبمان : « ان الانسانية مدينة لبريطانيا العظمى بردها الى البشر الثقة بالنفس التي فقدوها . » ففي النصف الثاني من العام ١٩٤٠ انقذت بريطانيا بانقاذها نفسها العالم والحرية والحضارة . وقد قال مستر تشرشل : «ستعود الحياة جميلة اذا لم نهن ونضعف»

والواقع ان انكلترا صمدت صموداً باهراً : ففي الميدان العسكري صدت بريطانيا الهجوم على الجزر البريطانية ، وربحت معركة لندن وحالت دون الغزوة ، وأحرزت مع حليفتها اليونان اولى الانتصارات البرية في اوربا وافريقيا ، واحتفظت — بالرغم من حرب الغواصات — بتفوقها البحري ودمرت القسم الاكبر من الاسطول الحربي الايطالي ، وأنمت انتاجها من العتاد والمؤن

وفي الميدان الديبلوماسي والسياسي هدمت بريطانيا ، لمجرد مقاومتها وانتصاراتها ، النظام الاوربي الذي كان يحلم به هتلر ووطأت للشعوب المستعبدة سبيل العصيان والانتقام . وبالرغم من اليابان دافعت عن مصالحها في الشرق الاقصى ودعمت الصين وحملت الاتحاد السوفييتي على العدول عن الايمان بنجاح الجيش الالماني وحصلت على المساعدة الكلية من الولايات المتحدة التي عرفت كيف تحمل القارة الاوربية بكاملها على الانضمام الى قضية الحرية والديموقراطية . وقد قال الملك جورج السادس في الرسالة التي اذاعها عشية عيد الميلاد : « نحن على طريق النصر . »

١٩٤١

كانت هذه السنة فاتحة خير للحلفاء . فقد استهلتها الجيوش البريطانية بفتوحات باهرة على يد الجنرال ويفل ، قائد الجيوش البريطانية في افريقيا . ففي ٢ من كانون الثاني احتلت جيوش ويفل المظفرة مدينة طبرق في ليبيا بعد أن كانت احتلت سيدي براني . وفي ٣٠ من كانون الثاني استولت على درنة وما عتم الامر ان احتلت بنغازي . وواصلت القتال في الحبشة فاحتلتها باشهر قليلة وقضت على الامبراطورية الوهمية التي بناها موسوليني بسبعة اشهر استنفد خلالها ثروة ايطاليا حتى اضطر الازواج الطليان الى بيع حتى محابسهم الذهبية لتغذية تلك الحملة .

وفيما الحرب دائرة الرحى في نجاد الحبشة وسهول ليبيا لم يجد الجيش الالماني بداً من نجدة الطليان الذين كانوا يتعثرون في الحرب الغادرة التي شنوهـا على اليونان الصغيرة . ففي ٢٨ من تشرين الاول عـام ١٩٤٠ أقدمت جيوش موسوليني على غزو اليونان لاحتلال المواقع القوية في حوض المتوسط . فهبت القوات اليونانية لصدّ الغزوة بما اوتيت من قوة الايمان بالحق والعدالة ، وما هو الا وقت قصير حتى قلب الله للطليان ظهر المجن واذا بسهول اليونان ونجادها تستحيل مقابر لجنود موسوليني ومصاهر لعتاده، واذا باصلاب بركليس تطرد المغتصب المجتاح من وطنها وتنقل مسارح الحرب الى البانيا ، الى عقر دار الطليان . وعندئذ رأى الجيش الالماني أن الكارثة الطليانية يتفاقم أمرها فهب لنجدة حليفته ، وفي السادس من شهر نيسان عام ١٩٤١ دخلت الجيوش الالمانية حدود اليونان ويوغسلافيـا معاً ، فصمدت يوغسلافيا صمود المؤمن بعدالة قضيته وثابرت اليونان على القتال مستعينة روح الله على نصرة الحق وازهاق الباطل .

وكانت القيادة الامبراطورية البريطانية قد نقلت قسماً من قواتها المحاربة في ليبيا الى اليونان لنجدة الحليفة الصغيرة . فضعفت الجبهـة البريطانية في هذه المناطق مما اضطر الجيش البريطاني الى الجلاء عن بنغازي وعن كثير من النقاط الواقعة على ساحل ليبيا . ولكنه استعاض عن ذلك باحتلال الصومال الايطالي في ١٦ آذار ١٩٤١ ، ثم كيرين واسمره ومصوع في الاريتره ، والعاصمة الحبشية في ٥ من نيسان .

وفي ٢٠ من نوار ١٩٤١ بدأت معركة كريت التي خسرها الانكليز بداعي تفوق العدو في العدد والعدد . ولكن البريطانيين ابلوا في هذه المعركة بلاء حسناً بالرغم من ان الالمان استخدموا فيها ألفاً ومئتي طائرة وسبع فرق منها ثلاث مصفحة واثنتان جبليتان وواحدة من فرق هتلر يبلغ مجموعها كلها مئة واربعين الف رجل مقابل خمسين الفاً من البريطانيين .

حملة العراق

وكان رشيد عالي الكيلاني ، رئيس الحكومة العراقية ، قد أوقع الواقعة في العراق بدافع من الالمان ولكن الانكليز وضعوا بسرعة حداً لهذه الفتنة المؤسفة وهرب رشيد عالي الى المانيا واستعاد العرش العراقي حقه السليب . ولم تستغـرق الثورة في العراق الا ٢٨ يوماً من ٢ نوار الى ٣٠ منه .

حملة سوريا

وعلى الاثر أعلن الجنرال كاترو ، قائد حملة سوريا ولبنان ، عزم الحلفاء على انقاذ سوريا ولبنان من المطامع الالمانية . وفي ٨ حزيران دخلت قوات الحلفاء بقيادة الجنرال كاترو الى لبنان وسوريا واستغرقت مقاومة فيشي ٣٥ يوماً انتهت باحتلال الحلفاء بيروت عشية عيد الحرية الفرنسية .

حملة ايران

وبعد اسابيع قليلة دخلت الجيوش الانكليزية الروسية الى ايران بعد ان انذرت مرتين بضرورة اخراج العملاء والجواسيس الالمان ولم تذعن . على ان الجيوش الايرانية ابدت مقاومة رمزية انتهت بوقف القتال الذي لم يتجاوز اسبوعاً . وقد أسفرت هذه الحملة عن سفر الشاه بهلوي واعلان ابنه ولي العهد شاهاً باسم علي رضا واستيلاء الحليفتين انكلترا وروسيا على آبار البترول والمرافق الحيوية في ايران .

حملة روسيا

ولا نزاع في ان التحالف الروسي الالماني كان قائماً على دغل ، فلا هتلر يؤمن بصداقة ستالين ولا ستالين بصداقة هتلر . وبديهي ان المانيا حالفت روسيا على امل ان تغرف من مواردها ، فلما امسكت عنها روسيا تلك الموارد لم يبق امام الجيش الالماني الا ان يلقي السلاح او ان يهاجم البقاع الروسية الغنية وفي ٢٢ حزيران من العام ١٩٤١ هاجم الجيش الالماني روسيا في جبهة تمتد من المحيط المتجمد

حتى البحر الاسود ، فأخذت القوات الروسية تقاوم منسحبة الى نقاط مقررة . وقد سلكت الجيوش الالمانية طريق الجيوش النابوليونية وبقيت تتنقل من فوز الى فوز دافعة اثمان انتصاراتها غالياً جداً حتى اليوم السابع من شهر كانون الاول ١٩٤١ . في ذلك اليوم باشرت الجيوش الروسية الهجوم ، فطردت الالمان من روستوف وواصلت تقدمها الظافر فاسترجعت تكفين وكالينين وكرش وكالوغا ومئات من القرى والمدن الاخرى .

في ليبيا

وفي هذه الاثناء كانت الجيوش الامبراطورية تبلي بلاء حسناً في بقاع ليبيا . وكانت قد باشرت هجومها في ١٨ من تشرين الثاني عام ١٩٤١ فاحتلت عدة مدن ومرافىء ومواقع ستراتيجية هامة . ولم يكن هدف الجيوش الامبراطورية احتلال مواقع في ليبيا بل كان هدفها تحطيم العدة الميكانيكية العدوة . وقد تمكنت في اسابيع قليلة من القضاء على الجانب الاكبر من جيش الجنرال روميل ، قائد القوات الميكانيكية الالمانية في ليبيا ، واحتلت فوق ذلك البردية ودرنه وبنغازي وارغمت جيش روميل على الانسحاب شطر طرابلس الغرب .

في الشرق الاقصى

وكانت اليابان لثمانية اشهر خلت شرعت تفاوض الولايات المتحدة لاجل الحصول على امتيازات في الشرق الاقصى . وفي اليابان نزعتان احداهما تميل الى الاتفاق مع الحلفاء ، وهي نزعة المعتدلين ، والاخرى تميل الى الحرب لبسط السيطرة المطلقة على الشرق الاقصى وطرد الاوربيين منه ، وهي نزعة المتطرفين التي يمثلها الحزب العسكري . وطال البحث والجدل بين الطرفين من غير ان يصلا الى نتيجة . وفي اثناء ذلك ، عندما اشتد الجدل والتشبث ، تبوأ الحزب العسكري السلطة فتولى الجنرال توجو رئاسة الحكومة ، وراح يستخدم كل انواع الحيل الديبلوماسية رجاء ان يخيف الولايات المتحدة فتذعن الى المطالب اليابانية . ولكن حكومة واشنطن حافظت على رباطة جأشها وافهمت الحكومة اليابانية انها لن تنال شيئاً بالتهديد والوعيد .

ويظهر ان الحكومة اليابانية لقحت بلقاح النازية الهتارية فقر رأيها على ان تلجأ الى الخداع والمكر فانتدبت السيد كوروسو كسفير خارق العادة ليعاون الاميرال نومورا ، سفير اليابان في الولايات المتحدة ، في المفاوضات الجارية بين البلدين . فخيل الى العالم ان طوكيو عدلت عن السياسة الحربية التي سلكتها من زمن ، وانقسمت الآراء فمن قائل ان المفاوضات الاميركانية اليابانية ستسفر عن التسوية المنشودة ، ومن قائل ان الحرب واقعة حتماً في منطقة المحيط الهادى .

والواقع ان اليابان ما لجأت الى هذه الحيلة الماكرة الا لتصرف الولايات المتحدة عن التأهب للهجوم المفاجىء الذي كانت تتهيأ له . ففيما المفاوضات مستمرة في واشنطن بشيء من القطيعة اقدمت القوات اليابانية على مهاجمة هونولولو ، عاصمة جزر هاواي ، ومانيلا ، عاصمة جزر الفيليبين . ثم اعلنت الحرب على الولايات المتحدة وانكلترا .

سياسة روزفلت

وكانت سياسة الرئيس روزفلت قد حملت قسماً كبيراً من اشياع العزلة الاميركان على الانضمام اليها ، فما كادت اليابان ترتكب عملها الغادر حتى انضم القسم الباقي من اشياع العزلة الى سياسة روزفلت وهبت جميع البلدان الاميركانية الى اعلان تكاتفها مع الولايات المتحدة فأعلنت تسع جمهوريات منها الحرب على المحور وقررت خمس منها الاعتراف بحقوق اللامحارب لجميع الجمهوريات الاميركانية التي تخوض الحرب . وبموجب المادة السابعة عشرة من اتفاق هافانا قررت جميع الدول الاميركانية ان تعقد مؤتمراً في شهر كانون الثاني الجاري اما في ريو ده جانيرو او في سانتياغو التشيلي لتدرس معاً ما يجب اتخاذه من التدابير المشتركة بحق اليابان .

وهكذا صهر الاعتداء الياباني جميع العناصر الاميركانية في اتحاد متراص لمقاتلة الباغي وانقاذ الحرية البشرية من مخالب الطغيان .